

محمود سبلي

حياة رسول الله

دار النشر
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

2005م - 1426هـ



دار الجيل

للنشر والطباعة والتوزيع

ISBN: 9953-78-077-3

بيروت: البوشرية - شارع الفردوس - ص.ب. : 8737 (11)
هاتف: 689950 - 689951 - 689952 / فاكس: 689953 (009611)

E.mail: daraljl@inco.com.lb.

Website: www.daraljl.com

القاهرة: هاتف: 5865659 / فاكس: 5870852 (00202)

تونس: هاتف: 71922644 / فاكس: 71923634 (00216)

الاهياء
اللهم منك واليك

بمحمود سبني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

ما شاء الله ... لا قوة إلا بالله ...
لا تحسبن أن « حياة رسول الله » صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ... يمكن
أن توضع في كتاب كهذا صغير ...
لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ... وراة الإدراك ...
وفوق العقول ...
وصدق الله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ...
وإنما كان لهذا الكتاب الذي بين يديك ... قصة ... لطيفة ...
وقصته أنى كنت ذات يوم اقرأ السيرة الخالدة لابن هشام ...
فأنت حين قراءتها أنها شيء عظيم حقاً ... أوعت حياته صلى الله تعالى
عليه وسلم ... وجمعت ...
إلا أنها كتبت بمفاهيم عصرها ... الذي سجلت فيه ...
فرأيت أن أقدمها ... في اختصار يناسب أذواق قراء اليوم ، ومفاهيم
عصر الذرة والتلفزيون ...
فاستصفيت منها هذا الكتاب ... ووضعت في اعتباري ، أن يكون تركيزاً
أميناً ... لتلك السيرة الخالدة ...
فجاء بحمد الله ... فيه من كل شيء ... في تلسم السيرة ...
ويخلو من كل شيء فيها ... بثقل على أذواق اليوم ...

وأحسب أنه بذلك ... يحقق للقارىء أن ينعم بالجمال المكنون في كتب
الأقدمين ... ينساب إليه في أسلوب سهل ... يوشك أن يكون في سهولة أسلوب
صحافة اليوم ..

ولقد اهتمت في ذلك بقوله تعالى : « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ
مِنْ مُذَكِّرٍ ؟ ! »

فالدعوة إلى الله، يجب أن تقدم إلى كل عصر ، بفاهيم أهل ذلك العصر ...
وهو المشار إليه في قوله سبحانه : « بِلِسَانٍ قَوْمِهِ » .

وليس المراد باللسان اللغة فحسب ... وإنما أسلوب اللغة ... وكيفية أداء المعاني
إلى الناس ... بحيث تتجه إلى قلوبهم وعقولهم ... دون أدنى عناء ...

لقد بذلت أقصى جهدي ... كي يكون الكتاب سهلاً ... مع المحافظة على
حقائق المرجع الأصيلة ...

ثم قطعته ... قطعاً قطعاً ... متجاورات ... وعنوت لكل قطعة
بعنوان بارز ...

كل أولئك ... لأذهب السامة عن قارئه ... فلا يمل ولا ينسى ...
وكم من كتاب ... من كتب الأقدمين ... لو وجد من يقدمه إلى الناس ...
في زينة العصر ... و « ديكور » اليوم ... لأقبلوا إليه يتسابقون ...
ولى مذهب في عرض المفاهيم الإسلامية ... آخذ به نفسى ... وقد لا يوافقني
عليه فريق من الكتّاب ...

أن تُعرض تلك المفاهيم .. في أسلس أسلوب .. وأسهل أداء .. وأتق صورة ..
لأن عصرنا ... عصر السرعة ... عصر الصعود إلى القمر في ساعات ...
هز أعصاب الناس هزاً عنيفاً ... فلا يستطيعون مع المطولات صبراً ...

فإن قيل : فليذهب أولئك مع الريح ... إنما نكتب للذين يريدون أن
يصابروا ويصبروا مع أعماق الحقائق ...

قلنا : ليس من الحكمة في شيء ما تقولون ...

بل نحبهم في دينهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ...

ونسوق إليهم ما نسوق .. سوقاً جميلاً ...

عسى أن يكون منهم ... مَنْ يُقبل على الله اقبالاً طويلاً ...

هنالك ... وبعد أن يفتح قلبه ... سوف يبحث هو ... عن موسوعات
الأقدمين ... ويفحص خلالها غوصاً ...

فالدعوة إلى الله ... فن ...

فن عميق ... وبحر سحيق ...

والتوفيق فيها ... علامته ... أن تحسن جذب ... الشاردين ... إلى الله
جذباً لطيفاً ...

وكأئن من قلب شارد ... التقطه من بحر الفتن ... كتاب صغير ... أو تعبير
عارض جميل !

فعمسى أن يكون هذا الكتاب الذي بين يديك ... هو الزهرة الجميلة التي
تحببك ... في تتبع حياته صلى الله تعالى عليه وسلم ... حيث شئت تفصيلاً ..

وقد تكون السباحة في « حوض السباحة » هي الباب الذي يدفعك إلى
السباحة في البحر المحيط !

محمود شاذلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تلك هي قصة النبي صلى الله عليه وسلم ، اقتبسناها من مراجعها الأصلية - وأخذناها من منابعها الصافية ، تترقق كما يترقق الماء المصقى مع نسجات الربيع .
ولقد نظرنا فيما كتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قديماً أو حديثاً واستعرضناه ، وفكرنا فيه طويلاً ، فما وجدت أعذب من سيرة ابن هشام ، ولا أحلى منها مذاقاً .

لا لأنها أطول السير ، ولا أجمع التواريخ ، ولكن لأنها تمتاز بقرب عهدها من صاحب السيرة نفسه ، وكلما كان الماء قريباً من المنبع كلما كان أصفى .
وتمتاز كذلك بجزالة اللفظ ، وفصاحة التعبير ، وبلاغة الإيجاز .

فهي تأتي بالصفحات الطوال في ألفاظ قصار ، ومع هذا لم تخل ، ولم تقصد المعنى .

وتلك هي البلاغة العربية الأولى ، بلاغة قريش التي جاء القرآن يتحداها ويمجزها .

ولقد طربت طرباً كبيراً ، وأنا أتلو سيرة ابن هشام ، حين رأيتهما على جانب من البلاغة كبير .

من أجل ذلك كانت هي مرجعي الأول في هذا الكتاب .

ولقد تعمدت أن أحافظ على ألفاظها ، وأوردها بنصها ، لأن بلاغتها منقطعة النفاير ، ولأنها حررت في عهد قريب من النبي صلى الله عليه وسلم .

١ إلا أن تلك السيرة كتبت بما يلائم عصرها ، ويمضى مع ذوق الجماهير المسلمة :
في زمانها .

فهي تسجل أشعاراً طويلاً ، وقصائد واسعة في كل حادثة ، وكل واقعة .
وما كنت لأمضى معها في أشعارها ، ولكن ألقيت بالشعر بعيداً ، غير آسف .
عليه ، لأن ذوق هذه الأيام ، أصبح يخالف أذواق سالف الزمان .

فإن شئت أن تقول : إن هذا الكتاب يحوى بين دفتيه « سيرة ابن هشام »
فهو كما قلت ... ولكن بعد حذف الأشعار ، وحذف مالا جدوى فيه ، وحذف
ما يختلف فيه ، وحذف مالا يتفق مع روح العصر .

وكما قلت آنفاً ، إننى حافظت على ألفاظ سيرة ابن هشام لأحافظ على روحها
العربية الأصيلة ، فإننى أقول : إننى تصرفت في بعض ألفاظها القديمة التي تشق
على القارئ الحديث ، فجولتها إلى ألفاظ سهلة مألوفة للجماهير .
وثمة وجهة أخرى ...

تلك الوجهة ، هي أن الكتاب ليس ملخصاً لسيرة ابن هشام - وإن كان
جامعاً لزبدة ما فيها - ولكنه كتاب جديد عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه وسلم .

فهو يتكلم عن حياته عليه السلام - من مولده إلى وفاته - ويسجل وقائع
تلك الحياة تسجيلاً صادقاً أصيلاً .

فلا خرافات ... ولا خيالات ... ولا التواءات ... ولا انحرافات ... ثم
هو بعد ذلك له منهجه فيما تكلم فيه أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ومنهجه في ذلك ، أن أولئك أحقر من أن يقام لهم وزن ، أو يلقي إليهم
بحديث .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من أن تطمسه ، وتطفى نوره تلك
الحشرات الدابة على الأرض .

إنما مثل محمد صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الذين يريدون أن يطفئوا نوره ،
كمثل صفار وقفوا في خلاء ينظرون إلى الشمس في يوم صحو ، في الظهيرة ،
فلما أن بهرت أعينهم بشعاعها ، وعجزوا عن فتح أعينهم في قرصها ، قالوا لأنفسهم
هلم ننفضها بأفواهنا ، فنطفئ نورها ، انتقاماً منها لأنها آذت أبصارنا !! .

تماماً ... أعداء محمد صلى الله عليه وسلم ، نظروا إلى نوره ، فإذا هو يسطع
من الأرض إلى السماء ، فما استطاعوا أن ينظروه ، وما استطاعوا له إحاطة ،
فوقفوا ينفضون بأفواههم ، ليطفئوا نور الله ، والله متم نوره ، ولو كره
المجرمون .

فالرسول صلى الله عليه وسلم أعظم من أن يطمس ، وهؤلاء أحقر من أن
نشغل أنفسنا بالرد عليهم .

فكان المنهج من ذلك الكتاب في تلك الناحية ، أن أمضى أقص على الناس
قصة رسول الله ، في صدق وصفاء ، وهي بذلك خير رد على هؤلاء ، وخير دليل
على عظمة رسول الله .

وهذا الأسلوب هو أقوى دفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فما عليك إلا أن تجلي حياته للناس ، حتى إذا تلالأت في السماء وقف أعداؤه
ينظرون إليه وقد بهرتهم أنواره العالية .

فأنا لا أتعب نفسي ، ولا أتعب الناس معي ، في الرد على المستشرقين ،
أو الرد على أعداء الدين ، أو الرد على الملحدين ، أو الرد على المتزلزلين
من المسلمين .

ولكن أقول لهؤلاء وهؤلاء هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا
رسول الله ، هذا هو - بغير « رتوش » أو نقص ، أو زيادة - فهل تنقمون منه
من شيء ؟ وهل تعيبون منه أمراً من الأمور ؟ .

فسيقولون : ماعهدنا عليه إلا خيراً .

فأقول لهم : فذلك الذى تقولون فيه ما ليس فيه .

ولست أريد من ذلك المذهب أن أقول بإهمال الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أريد أن أقول : إن ذلك مذهبي من هذا الكتاب وحده .

وليس يمنع - بعد ذلك - أن أكتب كتاباً مستقلاً في الدفاع عن رسول الله ودحض الشبهات التى ألقاها المجرمون من حوله .

بل إنى لأقول : إن ذلك الدفاع لازم وفرض عين على كل مسلم ، أن يدافع عن رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولكنى حريص فى هذا الكتاب ، أن أبرئه من القيل والقال وكثرة السؤال ، وأن أجعله يجرى إلى القلوب جريان الماء العذب إلى جوف الظمآن .

فعلى الذين يريدون القيل والقال ، والرد ، والسؤال ، أن يلتمسوا ذلك فى غير هذا الكتاب .

أما الذين يريدون رسول الله وحده ، فإنهم واجدوه فى هذا الكتاب ، وقارئوه بين ثناياه .

ولقد اضطربت اضطراباً كبيراً ، وأنا أتقدم للكتابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هل أكتب عنه كما يكتب المؤرخون ، كتاب وقائع وبدائع وصنائع ، ليس فيها من آثار الروح والمأطفة من شئ ؟ .

أم أكتب عنه كتاب إيمان وتصوف ، وحب وتدين ؟ .

فما وجدت لآتجاهٍ منهما من طعم ، وما وجدت لطريقٍ منهما من مذاق ! .
فكيف السبيل إذاً ؟ .

كيف السبيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

هل أكتب عنه قصة ... نعم إن حياته أروع قصة ... ولكنه أعظم من...
أن يكون قصة ؟ .

هل أكتب عنه كتاباً في التاريخ ... نعم هو أعظم ماعرف التاريخ ...
ولكنه أسمى من أن يكون تاريخاً ؟ .

هل أحرر للناس سيرته ... نعم إن له لسيرة كما للناس سيرة ... ولكن
سيرته شيء غير ما ألف الناس من سير ؟ .

فما كان جواب نفسي إلا أن قالت : دعني ورسول الله صلى الله عليه وسلم ...
وخل بيني وبينه ... وسوف أقول عنه ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ،
ولا خطر على قلب بشر ! .

وناداني قلبي : حطم القيود ، ودمر السدود ، واتركني ورسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وسوف أعبر عنه التعبير الذي أحسه ، ولا أستطيع أن أنقله إلا
إذا كنت حراً محرراً .

واستمعت إلى نداء نفسي ، وتسمعت إلى مناجاة قلبي ... وقلبت وجهي في
السماء ... حائراً ...

فلما تبين أنه الحق ... وانشرح له صدري ، وقرت به عيني ... كتبت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لا أريد أن أكتب تاريخاً ، ولا تحليلاً ، ولا قصة ، ولا سيرة ، ولا مدحاً
ولا نقداً ، ولا تبويهاً .

ولكن ما أحسه كرجل يؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولكن ما أعتقد أنه الحق من قصة محمد صلى الله عليه وسلم .

كل ذلك فى انطلاق وانبثاق ...

انطلاق لا يقيدته إلا النص السماوى الذى لامرية فيه .

وانبثاق لا يطمسه ظلام الألفاظ ، ولكن ينميه نور اليقين ، وحب الشخصية

المكتوب عنها .

انطلاق ... وانبثاق .

وهذا هو الأسلوب من ذلك الكتاب .

والله أسأل أن يجعله شيئاً لديه مرضياً ، وأن يدخله إلى قلوب الناس مدخلاً

كراماً .

محمود متنبى

القاهرة فى { ١٣٨٢ هـ
١٩٦٢ م

مَاذَا قَبْلَ الْبُعْثَةِ؟

متى ولد؟

يوم الاثنين ... من شهر ربيع الأول ... في الثاني عشر من ذلك الشهر .
وضعه أشرف عقيلة في قريش ، آمنة بنت وهب .
وضعه يثما !! .

اتمد توفى أبوه ، عبد الله بن عبد المطلب ، وهو جنين في بطن أمه !! .
ذلك أن عبد الله خرج إلى الشام ، إلى غزة ، في غير من غيران قريش ،
يحملونه تجارات ، فقرغوا من تجارتهم ، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة .. وعبد الله
ابن عبد المطلب يومئذ مريض . فقال : أتخلف عند أخوالي بني عدى بن النجار .
فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه ، فقدموا مكة ، فسألهم عبد المطلب عن
ابنه عبد الله ، فقالوا : خلفناه عند أخواله بني النجار ، وهو مريض . فبعث إليه
عبد المطلب أكبر ولده ، الحارث ، فوجده قد توفى ودفن في دار النافعة . فرجع
إلى أبيه فأخبره ، فحزن عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته حزناً شديداً ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ جنين ، ولعبد الله بن عبد المطلب يوم توفى
خمس وعشرون سنة .

اتمد توفى أبوه وهو جنين في بطن أمه ... وهذا أبلغ اليتيم وأعلى مراتبه .
وكان ذلك أول بلاء يواجهه الطفل الوايد ... وإن كان لا يدري شيئاً عن
تلك المعاني ... إلا أن التقادير كانت تدري ، وكانت تؤهله لأمر عظيم ! .

وألهمهم الله عز وجل أن سموه محمداً ... ليلتقى الاسم والفعل ، ويتطابق الاسم
والمسمى ، في الصورة والمعنى .

وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

من اليتيم ؟

عن حليلة بنت الحارث أنها قالت : قدمت مكة في نسوة من بني سعد
ثلثس بها الرضعاء ، في سنة شهباء ، فقدمت على أتان لي قراء كانت أذمت^(١)
بالركب ، ومعى صبي لنا ، وشارف لنا ، والله ماتبض بقطرة ، وما ننام ليلتنا
ذلك أجمع مع صبينا ذاك ، مانجد في ثدي مايفنيه ، ولا في شارفنا مايفذيه ،
ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك ، فلقد أذمت بالركب
حتى شق ذلك عليهم ، ضعفاً وعجفاً ، فقدمنا مكة ، فوالله ما علمت منا امرأة إلا
وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه ، إذا قيل إنه يتيم تركناه .
قلنا ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه ؟ . إنما نرجو المعروف من أبي الولد ، فأما أمه
فماذا عسى أن تصنع إلينا ؟ . فوالله ما بقى من صواحي امرأة إلا أخذت رضيعاً
غيرى ، فلما لم نجد غيره ، وأجمعنا الانطلاق قلت لزوجى الحارث بن عبد العزى ،
والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحي ليس معى رضيع ، لأنطلقن إلى
ذلك اليتيم فلاأخذنه . فقال : لا عليك أن تفعل ، فعسى أن يجعل الله لنا فيه خيراً
فذهبت ، فأخذته ، فوالله ماأخذته إلا أنى لم أجد غيره ، فما هو إلا أن أخذته ،
فجئت به رَحلى ، فأقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ! . فشرب حتى روى ،
وشرب أخوه حتى روى ! . وقام صاحبى إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها الحافل ،
فحلب ما شرب ، وشربت حتى روينا . فبتنا بخير ليلة ، فقال صاحبى حين
أصبحنا : يا حليلة . . . والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة . ألم ترى
مابتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه ؟ ! فلم يزل الله عز وجل
يزيدنا خيراً ، ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فوالله لقطعت أتانى بالركب
حتى مايتعلق بها حمار ، حتى أن صواحي ليقطن : ويلك يا بنت أبى ذؤيب ،

(١) أى جاءت عما نذم عليه .

هذه أتانك التي خرجت عايها معنا ؟ ! فأقول : نعم ، والله إنها لهى . قلن :
والله إن لها لشأناً . حتى قدمنا أرض بنى سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله
أجذب منها ، فإن كانت غنى لتسرح ، ثم تروح شباعاً لبناً ، فنحلب ماشئنا ،
وما حولينا أو حولنا أحد تبض له شاة بقارة لبن ، وإن أغنامهم لتروح
جياً ، حتى إنهم ليقولون لرعاتهم . ويحكم ، انظروا حيث تسرح غنم بنت
أبي ذؤيب ، فاسرحوا معهم . فيسرحون مع غنى حيث تسرح ، فتروح
أغنامهم جياً ما فيها قارة لبن ! . وتروح أغنامى شباعاً لبناً ، نحلب ماشئنا
فلم يزل الله يرينا البركة يتعرفها حتى بلغ سنتين ، فكان يشب شباباً لانشبه
الغلمان . فوالله ما بلغ السنتين حتى كان غلاماً يقوى على الأكل . قدمنا به
على أمه ، ونحن أضن شئ به ، مما رأينا فيه من البركة . فلما رأته أمه ، قلت
لها : دعينا نرجع بابننا هذه السنة الأخرى ، فإننا نخشى عليه وباء مكة . فوالله
مازلنا بها حتى قالت نعم . .

عودة الطفل إلى أمه

وعادت حليلة بالصبي حيث كانت تقيم . . . ثم أعادته إلى أمه بعد شهرين .
أو ثلاثة . . .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب ، وجده .
عبد المطلب فى كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نبأاً حسناً ، لما يريد به من كرامته .

ولكن الأم تموت !

فلما بلغ ست سنين . . .

ماذا حدث لليتيم الصغير ؟ .

قدمت آمنة بنت وهب به على أخواله من بنى النججار بالمدينة ، تزيره .

إياهم . . .

ثم ماذا ؟ .

ثم ماتت أمه وهي راجعة به إلى مكة ، ماتت بالأبواء .
وتوفيت أمه آمنة بنت وهب ، وهو ابن ست سنين ! .
وصار الصبي اليتيم اطمياً فالتأ للأبويه ! ! .

عبد المطلب يكفله

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم ، بعد
موت أمه آمنة بنت وهب .

فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حول
فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له .
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي ، وهو غلام قوى ، حتى
يجلس عليه .

فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب ، إذا رأى ذلك منهم :
دعوا ابني فوالله إن له لشأناً .

ثم يجلسه معه على فراشه ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .
ورق عبد المطلب عليه رقة لم يرقها على ولده ! .
وكان يقربه منه ، ويدنيه ، ويدخل عليه إذا خلا ، وإذا نام .
فلما حضرت عبد المطلب الوفاة ، أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وحياطته .

ثم مات عبد المطلب ، ودفن بالحجون .
وكان صلى الله عليه وسلم وقتئذ ابن ثمان سنين .

أبو طالب يكفله

فلما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فكان يكون معه .

وكان أبو طالب لا مال له ، وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده !
وكان لا ينأى إلا إلى جنبه !

ويخرج فيخرج معه .

وكذلك جعل الله حب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً في شفاف
قلوبهم ، وألقى عليه محبة منه ، فما رآه عبد المطلب إلا أحبه ، وما رآه أبو طالب
من بعده إلا أحبه حباً شديداً .

ببحري الراهب

ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام .

فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسير ، صَبَّ^(١) به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فرقَّ له ، وقال أبو طالب : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً .
فخرج به معه ، فلما نزل الركب بُصِّرَ من أرض الشام ، وبها راهب يقال
له بَحْرِي في صومعة له ، وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة
منذ قط راهب إليه ، يصير عليهم عن كتاب فيها ، بتوارثونه كابراً عن كابر .
فلما نزلوا ذلك العام ببَحْرِي ، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك ،
فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته
صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته :
يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته في الركب حين
أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم .

(١) « صب به » : اشتد ميله إليه ، ورفق قلبه له .

ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهفّرت^(١) أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها .

فلما رأى ذلك بجيرى نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم ، قال : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحرکم .

قال له رجل منهم : والله ، يا بجيرى ، إن لك لساناً اليوم ، ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً !! فما شأنك اليوم ؟

قال له بجيرى : صدقت ، قد كان ما تقول : ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلون منه كلكم .

فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم ، لحدّائة سنه ، وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ من العمر ثنتا عشرة سنة ، تخلّف في رجال القوم تحت الشجرة .

فلما نظر بجيرى في القوم ولم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده قال : يا معشر قريش ، لا يتخلّفن أحد منكم عن طعامي .

قالوا له : يا بجيرى ، ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلا غلاماً وهو لأحدث القوم سنّاً ، فتخلّف في رحالم .

قال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم .

قال رجل من قريش مع القوم : واللّات والعزّى إن كان للؤمّ بنا أن يتخلّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم .

(١) تهفّرت : مالت وتدلت .

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده ،
وقد كان يجدها عنده من صفته .

حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى فقال له : يا غلام ،
أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟

وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما .

فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تأتني باللات والعزى
شيئاً ، فوالله ما أبغضت شيئاً قطُّ أبغضَهُما » .

فقال بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ؟

فقال له : « سلنى عما بدا لك » .

فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه ، وهيئته ، وأموره .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى
من صفته .

ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته
التي عنده .

فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟

قال : ابنى .

قال له بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً .

قال : فإنه ابن أخى .

قال : فما فعل أبوه ؟

قال : مات وأمه حُبلى به .

قال : صدقت ... فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله
لئن رَأَوْهُ وعرفوا منه ما عرفت لَيَبَغُنَّهُ شراً ... فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن
عظيم ، فأسرع به إلى بلاده .

فخرج به عمه أبوطالب سريماً ، حتى أقدمه مكة ، حين فرغ من تجارته بالشام .

الأمين

ولقد شب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أذى الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءةً ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حساباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلاً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانةً ، وأبعدهم من الفحش . والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا «الأمين» لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

يشهد حرب الفجار

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة ، هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان . وكان الذي هاجها أن عروة أجار لطيمة^(١) للنعمان بن المنذر . فقال له البراء بن قيس : أتجيرها على كنانة ؟ قال : نعم ... وعلى الخلق كله .

فخرج فيها عروة ، وخرج البراء يطلب غفلة ، حتى إذا كان بالعالية غفل عروة ، فوثب عليه البراء ، فقتله في الشهر الحرام ، فلذلك سمي الفجار ، لأنه كان قتالا في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً .

فأتى آت قريشاً فقال : إن البراء قد قتل عروة ، وهم في الشهر الحرام بمكاف . فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم ، ثم بلغهم الخبر ، فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن . ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً ، والقوم متساندون - أي ليس لهم أمير واحد يجمعهم - على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

(١) اللطيمة : الجمال التي تعمل السك ، وإجارتها : أن يكون لها جارا فيمنع التعدي عليها .

وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم ، أخرجهم أعمامهم معهم .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت أنبئُ على أعمامى » ، أى
أرد عنهم نبئُ عدوهم إذا رموهم بها .

يتزوج

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة تزوج خديجة
بنت خُوَيْلِد .

وكانت خديجة امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها ،
وتضاربهم إياه بشئ ، تجعله لهم .
وكانت قریش قومًا تجارًا .

فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها : من صدق حديثه ،
وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى
الشام تاجرًا ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال
له مَيْسَرَةٌ ، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وخرج فى مالها ذلك ،
وخرج معه غلامها مَيْسَرَةٌ ، حتى قدم الشام .

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التى خرج بها ، واشترى ، ثم
أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة .

وحدثها ميسرة عن شمائله ومكارمه .

وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبية .

فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له : يا ابن عم ، إني قد رغبتُ فيك ، لقرابتك ، وشرفك فى قومك ،
وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك .

ثم عرضت عليه نفسها .

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهن شرفاً ،
وأكثرهن مالا .

كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه .
فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه
عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد ، فخطبها إليه ، فتزوجها .
وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة .
وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوج
عليها غيرها ، حتى ماتت رضى الله عنها .

فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولد كلهم إلا إبراهيم .
ولدت له القاسم ، والطاهر ، والطيب ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .
وأكبر بنيه القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته رقية ، ثم زينب ،
ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا في الجاهلية ، وأما بناته فكلهن
أدركن الإسلام فأسلمن ، وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .
وأما إبراهيم فأمه مارية ، التي أهداها إليه المتوفى صاحب اسكندرية .
وكان عمر خديجة حين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين
سنة ، وقيل خمساً وعشرين سنة .

يحتكمون إليه

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش
لبنيان الكعبة .

فلما تم لهم هدمها ، جمعت القبائل من قريش الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع
على حدة ، ثم بنوها ، حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود ، فاخصموا فيه .

كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا ،
وتحالفوا ، وأعدوا للقتال .

فمكثت قريش على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد
وتشاوروا ، وتناصفوا .

فقال أبو أمية بن المغيرة ، وكان عامئذ أسنَّ قريش كلها : يامعشر قريش
اجعلوا بينكم ، فيما تختلفون فيه ، أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضى
بينكم فيه ... ففعلوا .

فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد .
فلما انتهى إليه أخباره الخبر .

فقال صلى الله عليه وسلم : « هَلُمَّ إِلَى ثَوْبًا » فأتى به ، فأخذ الحجر الأسود
فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه
جميعاً ، ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .
وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه
لوحى « الأمين » .

* * *

وهكذا كانت حياته صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الله إلى الناس كافة .
حياة هادئة صافية .

فهو ابن الصحراء ، نشأ فيها أصولاً وفروعاً .
والصحراء تطبع أهلها بالصفاء ، وتفرض في أبنائها حب الحرية ، وحب
الشجاعة ، وحب الكرم ، وحب السخاء .
هذا من ناحية البيئة التي نشأ فيها .

أما عن السلالة فهو ابن إبراهيم خليل الله ، ابن إسماعيل ذبيح الله ، ابن
قريش سادة العرب ، ابن بنى هاشم سادة قريش .

ومتى اجتمع للانسان كرم الأصول ، وكرم المنبت ، فهو الشجرة الطيبة
في الأرض الطيبة .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته ، يُصنع صناعة خاصة
على عين ربه عز وجل .

فما من شيء يؤدي إلى جماله وكاله إلا أخذ به ربه إليه .
وما من شيء يقربه من الإنسانية ، ويباعده من الكبر والجبروت ، إلا سلك
الله به إليه سبيلا .

هذا أبوه يموت وهو جنين في بطن أمه .
ثم هذه أمه تموت وهو ابن ست سنين .
فيجتمع عليه من فقدته وموتها يتمان أليمان .
والنفس إذ تمزق تفكر وتعمق تفكيرها ، فتبتدى من حزنها إلى حقائق
كانت عنها لاهية .

ليس هذا وحده ، وإنما هناك بعد ذلك موت جده عبد المطلب ... فما بلغ
صلى الله عليه وسلم ثمانى سنين حتى ذهب عبد المطلب إلى ربه .
فقد محمد صلى الله عليه وسلم بموته جداراً ضخماً كان يستند بظهره إليه .
ولم يقف البلاء برسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، وإنما ساقه القدر
إلى كفالة عمه أئى طالب الرجل الفقير ذى العيال !
فتألم صلى الله عليه وسلم ، وتعلم ، ولكنه لم يتكلم .
تعلم أن فى الحياة آلاماً لا يحترق بنارها إلا من اصطلاها وعانها .
وأن فيها ظروفاً هى أشق على النفس من لقاء الموت .
ولقد كان لزاماً ، وحتماً مقضياً ، أن يمر محمد صلى الله عليه وسلم بتلك التجارب ..
وكان ذلك هو التمهيد لبناء إنسانيته الأولى قبل النبوة .

الْبَعْثَةُ

فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة ، بعثه الله تعالى .
رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً .

وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ،
والتصديق له ، والنصر له على من خالفه .

وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدّوا من
ذلك ما كان عليهم من الحق فيه .

يقول الله تعالى لحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحْكَمٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْقُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي) أى : ثقل
ما حملتكم من عهدى (قالوا أقرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وأنا معكم من الشّاهدين) .

فأخذ الله ميثاق النّبيين جميعاً بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدّوا
ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين السكتابين .

بدء الوحي

وكان أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة ، الرؤيا الصادقة .
لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلق الصبح .
وحبّب الله تعالى إليه الخلوة ، فلم يكن شىء أحب إليه من أن يخلو وحده .
وكان إذا خرج لحاجته أبعد حتى تبعد عنه البيوت ، ويفضى إلى المواضع
الخفية بين جبال مكة ، ويطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله .

فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله ، وعن يمينه ، وشماله ، وخلفه ،
فلا يرى إلا الشجر والحجارة .

فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ، ما شاء الله أن
يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في شهر رمضان .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في حراء من كل سنة شهراً .
وكان ذلك مما يتعبد به قريش في الجاهلية .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف ذلك الشهر من كل سنة ،
يطعم من جاءه من المساكين .

فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول
ما يبدأ به - إذا انصرف من معتكفه - الكعبة ، قبل أن يدخل بيته .

حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراه من كرامته ، من
السنة التي بعث الله تعالى فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان ، خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى حراء ، كما كان يخرج لمعتكفه ...

حتى إذا كانت الليلة التي أكرم الله فيها برسالاته ، ورحم العباد بها ، جاءه
جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج
فيه كتاب ؛ فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما اقرأ ، قال : ففتنتي ^(١) به حتى ظننت
أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما اقرأ ؟ ، قال : ففتني به
حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا اقرأ ؟ قال :
ففتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا اقرأ
- ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثلي ما صنع بي - فقال : اقرأ ، باسم
ربك الذي خلق * خالق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم
بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم . قال : فقرأتها ، ثم انتهت فانصرف عني ، وهبت

(١) غنى : عصر في عصر شديد حتى وجدت منه المشقة ، كما يجد من يفسق الماء قهراً .

من نومي فكأنما كتبت في قلمي كتاباً ، قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط
من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ،
قال : فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قلمي
في أفق السماء ، ويقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال : فوقفت أنظر
إليه ، فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، قال :
فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيتك كذلك ، فازلت واقفاً ما أتقدم أمامي
وما أراجع ورائي ، حتى بعثت خديجة رُسُلها في طلبي فبلغوا أعلى مكة ورجعوا
إليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني ، وانصرفت راجعاً إلى
أهلي ؛ حتى أتيت خديجة ؛ فجلست إلى غذاها مضيئاً^(١) إليها ؛ فقالت : يا أبا القاسم ،
أين كنت ؟ . فوالله لقد بعثت رُسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي ! .
ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشر يا ابن عم واثبت . فوالذي نفس خديجة
بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة .

ثم قامت فجئت عليها ثيابها ؛ ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن
عبد العزى بن قصي وهو ابن عمها ؛ وكان ورقة قد تنصّر ؛ وقرأ الكتب وسمع
من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه رأى وسمع .

فقال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس ؛ والذي نفس ورقة بيده لئن كنت
صدقيني يا خديجة ؛ لاند جاءه الناموس^(٢) الأكبر الذي كان يأتي موسى ؛ وإنه
لنبي هذه الأمة ؛ فتولي له فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل .
وفي رواية البخاري : . . . فرجع^(٣) به رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) مصيغاً : ملتحفاً بها مانلاً إليها . (٢) الناموس : الملك الذي جاءه بالرحمى .

(٣) فرجع بها : بالكلمات التي ألغها إليه الملك .

يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد . فقال : زملوني زملوني ، فزملوه ،
حتى ذهب عنه الروع . قال لخديجة ، وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي .
فالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتقرى^(١)
الضيف ، وتحمل^(٢) الكل ، وتكسب^(٣) للمعْدوم وتعين على نوائب الحق^(٤) .
فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل

أول من آمن

ففى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على مابقى من قومه .
من الخلاف والأذى .

وآمنت به خديجة ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره . .
وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه ، تخفف الله بذلك .
عن نبيه صلى الله عليه وسلم .

لا يسمع شيئاً مما يكرهه ، من رد عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك إلا فرج .
الله عنه بها إذا رجع إليها : تثبته وتخفف عليه ، وتصدق ، وتهون عليه أمر الناس .

فتور الوحي

ثم فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من ذلك ، حتى شق .
ذلك عليه فأخزنه .

فجاء جبريل بسورة الضحى ، يقسم له ربه — وهو الذى أكرمه بما
أكرمه به — ماودعه ربه وماقلاده ، فقال تعالى : (والضحى . والليل إذا سجى .

(١) تقرى : تكرمه .

(٢) وتحمل : يهمل الفقير ما يريجه . من ثقل تكاليف عياله .

(٣) وتكسب : تبادر إلى إعطاء الفقير .

(٤) إذا وقعت نائبة لأحد في خبر أعنت فيها ، وقت مع صاحبها حتى يجد قواماً

من هيش .

ماودعك ربك وما قلى) يقول : ماضرك فتركك وما أبفضك منذ أحبك
(وللآخرة خير لك من الأولى) أى : لما عندى فى مرجعك إلى خير لك مما
عجلت لك من الكرامة فى الدنيا (وسوف يعطيك ربك فترضى) من الظهور
والنصر فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة (ألم يحذك يتيماً فأوى • ووجدك ضالاً
فهدى • ووجدك عائلاً فأغنى) يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ،
ومنه عليه فى يتمه وققره وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته (فأما اليتيم
فلا تقهر • وأما السائل فلا تنهر) أى لاتكن جباراً ، ولا متكبراً ولا غاشاً ،
فظاً على الضعفاء من عباد الله (وأما بنعمة ربك فحدث) أى : بما جاءك من الله
من نعمته وكرامته من النبوة ، فحدث : أى اذكرها وادع إليها .
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد
من النبوة سرّاً ، إلى من يطمئن إليه من أهله •

بداية فرض الصلاة

وافترضت عليه الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم •
افتترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افتترضت عليه
ركعتين ركعتين كل صلاة •
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضاً لها ليريه كيف الظهور
للصلاة كما أراه جبريل ؛ فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه السلام ، ثم صلى
بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل ، فصلت بصلاته •

أول من آمن من الصبيان ؟

ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه
وصدق بما جاءه من الله تعالى على بن أبى طالب •
وهو ابن عشر سنين يومئذ ، وكان مما أنعم الله على بن أبى طالب رضى
الله عنه أنه كان فى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام •

أبو طالب يفاجئهما يصليان !

ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شهاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب ، ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا .

فكنا كذلك ما شاء الله أن يمكننا .

ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي ، ماهذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : « أى عم هذا دين الله ، ودين ملائكته ، ودين رسله ، ودين أبينا إبراهيم » .

فقال أبو طالب : أى ابن أخي ، إني لأستطيع أن أفارق دين آبائي ، وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخلص إليك بشئ . نكرمه ما بقيت .

وقال أبو طالب لعلي : أى بني ؛ ماهذا الدين الذي أنت عليه ؟ .

فقال : ياأبت آمنت بالله وبرسول الله ؛ وصدقت بما جاء به ؛ وصليت معه لله ؛ واتبعته .

فقال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير ؛ فالزمه .

اسلام زيد بن حارثة

ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب .

اسلام أنى بكر

ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة .

فلما أسلم أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله ، وكان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه ، مُحَبَّباً سهلاً وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر .

وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف .
وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ؛ لعلمه ، وتجارته
وحسن مجالسته .

فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يشاء
ويجلس إليه .

فأسلم بدعائه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ،
وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله .

فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له ، فأسلموا
وصلوا .

فكان هؤلاء الثفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام .
فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

السابقون الأولون

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح ، وأبو سلفة ، والأرقم بن أبي الأرقم
وعثمان بن مظعون ، وأخوه قدامة ، وعبد الله ابننا مظعون : وعبيدة ابن الحرث ،
وسعيد بن زيد ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ، وأسماء
بنت أبي بكر ، وعائشة بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة ، وخباب بن الأرت .
وأسلم عمير بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود ،
ومسعود بن القاري .

وأسلم سليط بن عمرو ، وأخوه حاطب بن عمرو .
وعياش بن أبي ربيعة ، وامرأته أسماء بنت سلامة .
وخنيس بن حذافة ، وعامر بن ربيعة .
وعبد الله بن جحش ، وأخوه أحمد بن جحش .
وجعفر بن أبي طالب ، وامرأته أسماء بنت عميس .

وحاطبُ بن الحرث ، وامراته فاطمة بنت المجلّل ، وأخوه حطّاب بن الحرث ، وامراته فُكَيْهَة بنت يسار .

ومعمر بن الحرث ، والسائب بن عثمان ، والمطلب بن أزهري ، وامراته رملة بنت أبي عوف ، ونعيم بن عبد الله ، وعامر بن فُهَيْرة ، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وخلد بن سعيد بن العاص ، وامراته أُمَيْمَةُ بنت خلف .
وحاطب بن عمرو ، وأبو حذيفة بن عتبة ، وواقد بن عبد الله .
وخلد وعامر وعافل وإياس ، بنو البُكَيْر بن عبد ياليل .
وأسلم عمار بن ياسر ، وصهيب بن سنان .
ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا^(١) ، من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتُحَدِّث به .

الجهنم بالدعوة

ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادي الناس بأمره ، وأن يدعو إليه .
وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به ، إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين من مبعثه .
ثم قال الله تعالى له : (فاصدع^(٢) بما تؤمر^(٣) وأعرض عن المشركين)
وقال تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك قتل إني بريء مما تعملون) .

أول دم في الإسلام

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب ، واستخفوا بصلاتهم من قومهم .

(١) طائفة بمد طائفة . (٢) فافرق بين الحق والباطل .

فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة إذ اظهر عليهم نفر من المشركين ، وهم يصلون فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون ، حتى قاتلهم .
فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بعظمة بعير فشجه .
في مكان أول دم أهرى في الإسلام .

بدء الصراع

فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام ، وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابها .
فلما فعل ذلك أعظموه ، وناكروه ، وأجمعوا خلافة وعداوته .
إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ؛ وهم قليل مستحقون .
وعطف على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ، ومنعه ، وقام بدونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرًا لأمره لا يرد عنه شيء .

فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضيهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم . ورأوا أن عمه أبا طالب قد عطف عليه ، وقام بدونه فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكف عنا وإما أن نُحَلِّي بيننا وبينه فإنك على مثل مانحن عليه من خلافة ، فنكفيك .

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فأنصرفوا عنه .
ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه .. يُظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم زاد الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال ، وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها .

وتذامروا فيه ، وحض بعضهم بغضا عليه .
ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى .
فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا . وإنا قد استنهميناك
من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه
أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى نكفه عنا أو نُنْازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك
أحد الفريقين .

ثم انصرفوا عنه . . .
فمظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطلب نفساً بإسلام رسول
الله صلى الله عليه وسلم لهم ، ولا خذلانه .

لو وضعوا الشمس في يميني ؟

ثم إن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ،
فأبقي على وعلى نفسك ، ولا تحملي من الأمر مالا أطيق .
فلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء ، وأنه خاذله .
وَمُسْلَمُهُ ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم والله ، لو وضعوا الشمس في
يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك
فيه ما تركته » .

ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى . . . ثم قام . . .
فلما ولى . . . ناداه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخي ، قتل ما أحببت فوالله
لا أسلمك لشيء أبداً .

أسلم إلينا ابن أخيك !

ثم إن قريشاً — حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله

صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجماعه لفرأقهم فى ذلك وعداوتهم — مشو٤
بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له : يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أقوى فتى
فى قريش وأجمله ، تغذه فلاك ديتة إذا قتل وتصره ، واتخذته ولداً فهو لك ،
وأسلم إلينا ابن أخيك ، هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة
قومك ، وسفه أحلامهم فنقتله ، فإنما هو رجل برجل .

قال : والله لبئس ماتسوؤوننى ! . أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطىكم
ابنى تقتلونه ؟ . هذا والله مالا يكون أبداً .

فقال المظعم بن عدى : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على
التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً .

فقال أبو طالب للمظعم : والله ما أنصفونى ، ولكنك قد أجمعت خذلانى .
ومظاهرة القوم على : فاصنع ما بدا لك .

فاشتد الأمر ، وحيت الحرب ، وترك القوم ما كان بينهم من عهد ، وبادى .
بعضهم بعضاً .

بدء التعذيب !!

ثم إن قريشاً تذا مروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله .
صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه .

فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين .. يعذبونهم ، ويفتنونهم عن دينهم .
ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعهه أبى طالب .

وقد قام أبو طالب — حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون — فى بنى هاشم
وبنى المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم
والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى مادعاهم إليه .
إلا ما كان من أبى لهب ، عدو الله الملعون .

ماذا نقول في محمد؟

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يامعشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويردّ قولكم بعضه بعضاً .

قالوا : فانت يا أبا عبد شمس ، قتل وأقيم لنا رأياً نقل به .

قال : بل أتم ققولوا أسمع .

قالوا : نقول : كاهن .

قال : لا والله ، ماهو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزَمَزَمَةِ الكاهن لا سَجَمِهِ .

قالوا : فنقول : مجنون .

قال : ماهو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بِمَجْنُونِهِ ، ولا بِمَخْلُجِهِ ولا وسوسته .

قالوا : فنقول : شاعر .

قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رَجَزَهُ وَهَزَجَهُ وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر .

قالوا : فنقول : ساحر .

قال : ماهو بساحر ، لقد رأينا السحَّار وسحَّارهم ، فما هو بنَفْسِهِمْ ولا عَقْدِهِمْ .

قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ ؟ .

قال : والله إنَّ لقوله لحلاوة ، وإن أصله لَعَذَقُ^(١) ، وإن فرعه لجناة^(٢) ، وما أتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِفَ أنه باطل . وإن أقرب القول فيه لأن

(١) العَذَقُ : الكثير الشعب والأطراف . (٢) لجناة : فيه تمر يحمي .

تقولوا هو ساحر ، جاء بقول هو سحر ، يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .
فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسُبل الناس - حين قدموا الموسم -
لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره .

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة ، وفي ذلك من قوله : (ذرني ومن
خلقتُ وحيداً . وجعلتُ له مالا ممدوداً . وبنين شهوداً . ومهدتُ له تمهيداً ثم
طمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيداً) أي : خصيماً . (سَأَرْهَقُهُ صَعُوداً .
إنه فكرَ وقَدَّرَ . ففَتَلَ كيفَ قَدَّرَ . ثم قَتَلَ كيفَ قَدَّرَ . ثم نَظَرَ . ثم عَبَسَ وَبَسَرَ)
بسر : كره وجهه . (ثم أَذْبَرَ واستَكْبَرَ . فقال إن هذا إلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إن هذا
إلا قولُ البَشَرِ)

وأنزل الله تعالى في رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى ،
وفي النفر الذين كانوا معه ، يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما
جاء به من الله تعالى (كما أنزلنا على الْمُقْسِمِينَ : الذين جعلوا القرآنَ عُضِينَ)
أي أصنافاً (فوردك لنسألهم أجمعين . عما كانوا يعملون) م

فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمن لقوا
من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

فلما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرب وبلغ البلدان
ذُكِرَ بالمدينة .

ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين
ذكر ، وقبل أن يذكر ، من هذا الحي من الأوس ، والخزرج ، وذلك لما
كانوا يسمعون من أخبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم في بلادهم .

إيذاء رسول الله

ثم إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه . وآذوه ، ورموه بالشعر ، والسحر والكهانة والجنون .
ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرٌ لأمر الله ، لا يستخفى به ، مباد لهم بما يكرهون : من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .
وكان أشد مالتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لآخر ولا عبد .
فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه فأنزل الله تعالى عليه (يا أيها المدثر . قم فأنذر) .

اسلام حمزة !

مر أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الضفا فأذاه وشتفه ، ونال منه بعض ما يكره ، من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره .
فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجارية لعبد الله بن جُدعان فى مسكن لها تسمع ذلك .

ثم انصرف عنه ، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم . فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه راجعاً من قنص له ، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له . وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحديث معهم .
وكان أعز فتى فى قريش ، وأشد شكية .

فلما مر بالجارية وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عماره ، لو رأيت مالتى ابن أخيك محمد آنفاً من أبى الحكم بن هشام ؟

وجدته مهنا جالساً ، فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ، ولم يكلمه محمد !

فاحتمل حمزة الغضب فخرج يسعى ، ولم يقف على أحد ، مُعِدّاً لأبي جهل ، إذا لقيه ، أن يوقع به .

فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه .
حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فغربه بها فشجّه شجّة منكّرة .
ثم قال : أنتشمه ؟ فأنا على دينه ، أقول ما يقول ، فرُدّ ذلك على أن استطعت .
فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل .
فقال أبو جهل : دعوا أبا عماره ، فإني والله قد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً .
فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَزَزَ
وامتنع ، وأن حمزة سيمنّه ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عرض الدنيا على رسول الله

قال عُتْبَةُ بن ربيعة يوماً ، وكان سيداً ، وهو جالس في نادي قريش ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش ، ألا أقوم
إلى محمد فأكله وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟
وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزيدون ويكثرون .

فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلّمه .

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي
إنك منا حيث قد علمت : من المنزلة الرفيعة في العشيرة ، والمكان في النسب ،
وإنك قد أنيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفّهت به أحلامهم ،
وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضي من آباءهم ، فاسمع مني أعرض
عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل يا أبا الوليد أسمع » .
قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا ،
جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت إنما تريد به شرفاً
سوّدناك علينا حتى لا نقطعَ أمراً دونك . وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك
علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رزقاً نراه ، لا تستطيع ربه عن نفسك .
طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبْرِثَكَ منه ، فإنه ربما غلب التابع على
الرجل حتى يداوى منه .

حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال : « أقد
فرغت يا أبا الوليد ؟ »

قال : نعم .

قال : « فاستمع مني » .

قال : أفعل .

فقال : (بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب
فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بشيراً ونذيراً فاعرض أكثرهم فهم
لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليها) .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرأها عليه .
فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره ، معتمداً عليهما ،
يسمع منه .

ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ، ثم قال :
« قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك » .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحاف بالله لقد جاءكم أبو الوليد
بغير الوجه الذي ذهب به !

فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال : ورائى أنى سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعونى ، واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكوننَّ لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم : فإن نُصِبَ العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يَظْهَرْ على العرب فمُلْكُه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به .
قالوا : سَحَرَك اللهُ يا أبا الوليد بلسانه !
قال : هذا رأيى ، فاصنعوا ما بدا لكم .

يسألون عنه اليهود !

ثم إن قريشاً بعثت النضر بن الحرث ، وعُقْبَةَ بن أبى مُعَيْطٍ إلى علماء اليهود بالمدينة .

وقالوا لها : سلام عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء .
فخرجوا حتى قدما المدينة ، فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفا لهم أمره ، وأخبراهم ببعض قوله .

وقالوا لهم : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا .
فقالت لها علماء اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ؛ فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقَوِّلٌ فَرَّوْا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم ؟ ، فإنه قد كان لهم حديث عجب ، وسلوه عن رجل طَوَّافٍ قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هى ؟ . فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل مُتَقَوِّلٌ ، فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم .

فأقبلا .. حتى قدما مكة على قريش ، فقالوا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أخبرنا علماء اليهود أن نساله عن أشياء قد أمرونا بها :

فإن أخبركم عنها فهو نبي ، وإن لم يفعل فالرجل متبول فرّوا فيه رأيكم .
فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قائلوا : يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا
في الدهر الأول ، قد كانت لهم قصة عَجَب ، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ
مشارك الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبركم بما سألتهم عنه غداً » .
ولم يقل إن شاء الله ...
فانصرفوا عنه ...

فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسَ عشرةَ ليلة لا يحدث الله إليه
في ذلك وحيّاً ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أُرْجِفَ أهل مكة .
وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا
بشيء مما سألناه عنه .

وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكثُ الوحي عنه ، وشق
عليه ما يتكلم به أهل مكة .

ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة الكهف فيها معانيته إياه على حزنه
عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ، والروح .

فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه
فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب ، حين سألوه عما سألوا
عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه ، فتَوَّأ على الله ، وتركوا
أمره عياناً ، ولبوا فيما هم عليه من الكفر .

فقال قائلهم : (لا تَسْمَعُوا لهذا القرآن والفوا فيه لعلكم تغلبون) أي
اجعلوه لنواً وباطلاً ، واتخذوه هزواً لعلكم تغلبون بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه
أو خاصمتموه يوماً غلبكم .

أول من جهز بالقرآن

وكان أول من جهز بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله ما سمعت
فريش هذا القرآن يجهز لها به قط ، فَنَ رجلٌ يسمُّهُمُوه ؟
فقال عبد الله بن مسعود : أنا .

قالوا : إنا نخشام عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم
إن أرادوه .

قال : دعوني ... فإن الله سيمعني .
فقد ابن مسعود ، حتى أتى المقام في الضحى ، رقرش في أُنْدَيْتِها ، حتى قام
عند المقام .

ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) رافعاً بها صوته (الرحمن . علم القرآن) ...
ثم استقبلها يقرؤها .

وتأملوه : .. فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟

ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد .
فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ ، حتى بلغ منها ما شاء الله
أن يبلغ .

ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا في وجهه .

فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك .

فقال : ما كان أعداء الله أهون علىّ منهم الآن ، ولئن شتم لأغادِبَنَّهُمْ
تمثيلها عداءً .

قالوا : لا ... حسبك ... قد أصغبتهم ما يكرهون .

التعذيب يشتد !

ثم إنهم عدّوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ..
فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين .

فجعلوا يجسّونهم ، ويمدّبونهم ، بالضرب ، والجوع ، والعطش ، وبرمضا .
مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم ؛ فمنهم من يفتن .
من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

أحد .. أحد !!

وكان بلالٌ صادق الإسلام ، طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف يخرج به .
- إذا حميت الظهيرة - فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة
العظيمة فتوضع على صدره .

ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزّى .
فيقول وهو في ذلك البلاء : أحدٌ أحد !!

حتى مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون ذلك به .

فقال لأمية بن خلف : ألا تتق الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟

قال : أنت الذي أفسدته ، فأنقذه بما ترى .

فقال أبو بكر : أفل ، عندى غلام أسود أجلد منه ، وأقوى على دينك ،

أعطيك به .

قال : قد قبلت .

قال : هو لك .

فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك ، وأخذ فاعتقه .

صبراً آل ياسر

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت
إسلام - إذا حيت القاهرة ، يذبونهم برمضاء مكة ،
فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : « صبراً آل ياسر ،
موعدكم الجنة » .

فأما أمه فقتلوها ، وهي تأتي إلا الإسلام .

أبو جهل يتولى الجريمة

وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش .
إذا سمع بالرجل قد أسلم ، له شرف ومنعة ، أنبّه وخزّاه ، وقال :
دين أهلك وهو خير منك؟! لنسفن حملك ، ولنقبحن رأيك ، ولنضعن شرفك .
وإن كان تاجراً قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهناكن مالك .
وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به !

الهجرة الأولى إلى الحبشة

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو
فيه من العافية ، مكانه من الله ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن
يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ما يكا
لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أتم فيه ؟ » .
فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض
الحبشة : مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم .
فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

النجاشي يرفض تسليمهم !

عن أم سلمة - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار ، النجاشي ، أماناً على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه .

فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جليدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة .

ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ، فأمروهما بأمرهم . ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي ، فقبلها منهما ، ثم كلمه ، فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم ، وعشائرم ، لتردهم عليهم ، فهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبهم فيه .

ثم أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم .

فلما جاءوا ... وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا أناجيلهم حوله ... سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ !

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له : أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأثي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلف ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف

عن الحرام والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ،
وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة
والزكاة والصيام .

— فمدد عليه أمور الإسلام — .

فصدقناه ، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده فلم
نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، ففدانا علينا قومنا
فمذبونا وفتنونا عن ديننا ، نيردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن
نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فله اقهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا
بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورجبنا في جوارك
ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

يقال له النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

فقال له جعفر : نعم .

يقال له النجاشي : فاقرأه على .

فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) ، فسبحي والله النجاشي حتى اخضلت لحيته
وبكت أساقفته حتى اخضلوا أناجيلهم حين سمعوا ما تلا عليهم .

ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ،
انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ...

فخرجوا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاءوا به ، وأقمنا عنده بخير
دار مع خير جار ... حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

اسلام عمر بن الخطاب

ولما قدم عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا
ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردهم النجاشي بما يكرهون ،

وأسلم عمر بن الخطاب ، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجمزة .
وكان إسلام عمر أن أخته فاطمة بنت الخطاب - وكانت عند سعيد بن
زيد - وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما
من عمر . وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن .
فخرج عمر يوماً متوشحاً بسيفه ، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ورحطاً من أصحابه ، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب
من أربعين من بين رجال ونساء .

ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر ،
وعلى ، في رجال من المسلمين ، ممن أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .
فلقيه نعيم بن عبد الله - وكان أيضاً يستخفي بإسلامه - فقال له : أين
تريد يا عمر ؟

قال : أريد محمداً ... هذا الصالح ، الذي فرق أمر قريش ، وسفه أنحلماها
وعاب دينها ، وسب آلها ، فاقته .

قال له نعيم : والله لقد غررتك نفسك من نفسك يا عمر ، أتري بني عبد
مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك
فتقيم أمرهم ؟ !

قال : ولبي أهل بيتي ؟

قال : ابن عمك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة بنت الخطاب . فهدى الله
أسلماً ، وتاباً محمداً على دينه ، فمليك بهما !

فرجع عمر عامداً إلى أخته وزوجها ، وعندما خباب معه صحيفة فيها
(حله ^(١)) يقرئها إياها ، فلما سمعوا حساً عمر تغيب خباب في بغض البيت ،

وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذهما .
وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خبَاب عليهما ، فلما دخل قال :
اهذه الهينة التي سمعت ؟ !
قالا له : ما سمعت شيئاً .
قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ...
وبطش بزواج أخته سعيد بن زيد ، ققامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب
تسكفه عن زوجها ، ففرضها فشجها .
فلما فعل ذلك قالت له أخته وزوجها : نعم لقد أسلنا ، وآمنا بالله ورسوله ،
وما صنعنا بهذا لك .
فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته :
أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آتفاً ، أنظر ما هذا الذي جاء به محمد .
وكان عمر كاتباً .
فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها .
قال : لا تخافى ، وحلف لها بآلته ليردنها إذا قرأها إليها .
فلما قال ذلك طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نجس على
شركك ، وإنه لا يحسبها إلا الطاهر .
فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها (طه) قرأها .
فلما قرأ منها صدراً قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !!
فلما سمع ذلك خبَّاب خرج إليه ، فقال له : يا عمر والله إني لأرجو أن يكون
الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإنى سمعته أمس وهو يقول : « اللهم أيد الإسلام
بابى الحكيم بن هشام أو يعمر بن الخطاب » فآله الله يا عمر .
فقال له عند ذلك عمر : فآلنى يا خبَّاب على محمد حتى آتبه فاسلم .
فقال له خبَّاب : هو فى بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه .

فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
فضرب عليهم الباب .

فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فنظر من خلل الباب ، فرآه متوشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وهو فزعٌ ، فقال يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف .
قال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ،
وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ائذّن له » فأذن له الرجل .
ونهبز إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة ، فأخذ بمحجزته .
أو بمجمع رداءه ، ثم جبذه جبذة شديدة وقال : « ماجاء بك يا ابن الخطاب ،
فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة ؟ » .
قال عمر : يا رسول الله ، جئتك لأؤمن بالله وبرسوله ، وبما جاء من
عند الله .

فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم !
فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم
حين أسلم عمر مع إسلام حمزة .
وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينتصفون بهما
من عدوهم .

قال عمر : لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أن أهل مكة أشد لرسول الله صلى
الله عليه وسلم غداوة ، حتى آتيت فأخبرته أنني قد أسلمت ، قلت أبو جهل ، فأقبلت
حين أصبحت حتى ضربت عليه يابه ، فخرج إلى أبو جهل ، قال : مرحباً ،
وأهلاً يا ابن أختي ، ماجاء بك ؟ قلت : جئت لأخبرك أنني قد آمنت بالله وبرسوله .

محمد ، وصدقت بما جاء به ، ف ضرب الباب في وجهي ، وقال : قبحك الله ، وقبح
ما جئت به .

مقاطعة بني هاشم وبني المطلب

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً
أصابوا به أمناً وفراراً ، وأن الجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد
أسلم ، فكان هو وحمزة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل
الإسلام يفسو في القبائل اجتمعوا واتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على
بني هاشم ، وبني المطلب : على أن لا ينكحوا إليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم
شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم
علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم ، وبني المطلب إلى أبي طالب بن
عبد المطلب ، فدخلوا معه في شعبه ، فاجتمعوا إليه .

وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد المطلب إلى قريش ، فظاعروهم
أي أعانهم .

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً ، حتى جهدوا ، لا يصل إليهم شيء إلا سرّاً
مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش ! .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه نيلاً ونهاراً ، ومراً
وجهاراً ، مبادياً بأمر الله ، لا يتقي فيه أحداً من الناس .

فجملت قريش . يهزونه ويستهزئون به ، ويخاصمونهم ، وجعل القرآن ينزل
في قريش بأحداثهم ، فمنهم من سمي أنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من
ذكر الله من الكفار .

عودة المهاجرين

وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة ، فاقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل أحد إلا بجوارٍ أو مستخفياً .

نقض الصحيفة

مشى هشام بن عمرو إلى زهير بن أبي أمية فقال : يا زهير ، أفقد رضىت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ، لا يباعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ، ولا ينكح إليهم ؟ ١ . أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعك إليه منهم ما أجبالك إليه أبداً .

قال : ويحك يا هشام !! . فإذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله أن لو كان معي رجل آخر لقت في نقضها حتى أنقضها .

قال : قد وجدت رجلاً .

قال : من هو ؟ .

قال : أنا .

قال له زهير : ابغنا رجلاً ثالثاً .

فلما تكامل الواقفون على نقض الصحيفة خمساً ، ذهبوا إلى البيت وأعلنوا نقضها .

قال أبو جهل : هذا أمر قضى بلبيل تشوؤ فيه تغير هذا المكان .

الإسراء والمعراج

ثم أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد

بالأقصى ، وهو بيت المقدس ، وقد فشا الإسلام بمكة في قريش ، وفي القبايل كلها .

وكان في مسراه ، وما ذكر منه بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه ، فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدي ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق ، وكان من أمر الله على يقين .

فأمرى به كيف شاء ، وكما شاء ، ليُريه من آياته ما أراد ، حتى غاين ما عين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد .
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق - وهي دابة تضع حافرهما في منتهى طرفها - فحمل عليها ...

فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى جبريل عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ...

ولما فرغ من أمر بيت المقدس ، صعد إلى السماء .
ولم يكن الصعود على البراق كما قد يتوهمه بعض الناس ، بل كان البراق مربوطاً على باب مسجد بيت المقدس ، ليرجع عليه إلى مكة .
فصعد من سماء إلى سماء حتى جاوز السابعة .

وكما جاء سماء تلقته منها مقربوها ، ومن فيها من أكابر الملائكة والأنبياء .
وذكروا أعيان من رآه من المرسلين ، كآدم في سماء الدنيا ، ويحيى وعيسى في الثانية ، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة ، وهارون في الخامسة ، وموسى في السادسة ، وإبراهيم في السابعة .

ثم جاوز مراتبهم كلهم حتى ظهر لمستوى يسمع فيه صريف الأقلام .
ورفعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ، فإذا ورقها كآذان الفيلة ... وغشيتها عند ذلك أمور عظيمة ، ألوان متعددة باهرة ، وغشيتها من نور الرب جل جلاله .

ورأى هناك جبريل له ستانة جناح ما بين كل جناحين كما بين السماء والأرض وهو الذى يقول الله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يفشى السدرة ما يفشى * ما زاغ البصر وما طغى) أى مازاغ يميناً ولا شمالاً ، ولا ارتفع عن المكان الذى حد له النظر إليه ، وهذا هو الثبات العظيم ، والأدب الكريم ، وهذه الرؤيا الثانية لجبريل عليه السلام على الصفة التى خلقه الله تعالى عليها .

وفرض الله سبحانه وتعالى على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى أمته الصلوات ليلئذ ، خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، ثم لم يزل يختلف بين موسى وبين ربه عز وجل ، حتى وضعها الرب جل جلاله إلى خمس ، وقال هى خمس وهى خمسون ، الحسنة بعشر أمثالها ، فحصل له التكليم من الرب عز وجل ليلئذ . ثم هبط رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ، والظاهر أن الأنبياء هبطوا معه تسكريماً له وتمظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلهية العظيمة . فلما حانت الصلاة أمّ صلى الله عليه وسلم الأنبياء ، فتقدمهم إماماً عن أمر جبريل .

ثم خرج منه فركب البراق ، وعاد إلى مكة !! فأصبح بها وهو فى غاية الثبات والسكينة والوقار ، وقد عاين فى تلك الليلة من الآيات والأمور التى لو رآها - أو بعضها - غيره لأصبح مندهشاً ، أو طائش العقول . ونكته صلى الله عليه وسلم أصبح واجماً - أى ساكناً - يخشى إن بدأ فأخبر قومه بما رأى أن يبادروا إلى تكذيبه .

فتلطف بإخبارهم أولاً بأنه جاء بيت المقدس فى تلك الليلة . وذلك أن أبا جهل - لعنه الله - رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الحرام ، وهو جالس واجم .

فقال له : هل من خبر ؟ !

قال : نعم

قال : وما هو ؟ !

قال : إني أسرى في الليلة إلى بيت المقدس .

قال : إلى بيت المقدس ؟ !!

قال : نعم .

قال : أرايت إن دعوت قومك لك لتخبرهم أنخبرهم بما أخبرني به ؟ !

قال : نعم .

فأراد أبو جهل جمع فريش ليسمعوا منه ذلك ، وأراد رسول الله صلى الله

عليه وسلم جمعهم ليخبرهم ذلك ويبلغهم .

قال أبو جهل : هيا معشر قريش وقد اجتمعوا من أنديةهم .

قال : أخبر قومك بما أخبرني به .

فقص عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، وأنه جاء بيت

المقدس هذه الليلة وصلى فيه ! .

فمن بين مصفق ، وبين مصفر ، تكذيباً له ، واستبعاداً لخبره !!

الصديق

وطار الخبر بمكة ، وجاء الناس إلى أبي بكر رضي الله عنه .

فأخبروه أن محمداً يقول كذا وكذا .

قال : إنكم تكذبون عليه .

فقالوا : والله إنه ليقوله .

قال : إن كان قاله فلتد صدق .

ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحوله مشركي قريش . فمنا

عن ذلك فأخبره ، فاستعلمه عن صفات بيت المقدس ليعلم المشركون ويعلموا

صدقه فيما أخبرهم به .

وكان مما قال أبو بكر ، وقد أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا نبي الله ، أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم .

قال : يا نبي الله ، فصفه لي فإني قد جئته .

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبي بكر ، ويقول أبو بكر صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، كلما وصف له منه شيئاً قال : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى انتهى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر « أنت يا أبا بكر الصديق » . فيومئذ سماه الصديق .

تطور الصلاة

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبيحة ليلة الإسراء ، جاءه جبرائيل عند الزوال ، فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها . وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فاجتمعوا وصلى به جبرائيل في ذلك اليوم إلى الغد ، والمسلمون يأتون بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يقتدى بجبرائيل .

وروى أن الصلاة كانت قبل الإسراء تكون ركعتين ، ثم لما فرضت الخمس ، فرضت حضراً على ما هي عليه ، ورخص في السفر أن يصلي ركعتين كما كان الأمر عليه قديماً .

وفاة خديجة وأبي طالب

ثم إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بموت خديجة ، وكانت له وزير صدقٍ على الإسلام ، يشكو إليها .

وبموت عمه أبي طالب ، وكان له عضداً ومنعة وناصرأ على قومه .
وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين .

قصة زواج عائشة

توفيت خديجة رضي الله عنها قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ... فلبث سنتين ، وتزوج عائشة .

وكان دخوله بها في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة وقصة ذلك : لما ملكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت : يا رسول الله ألا تزوج ؟

قال : من ؟ .

قالت : إن شئت بكراً . وإن شئت ثيباً .

قال : فمن البكر ؟ .

قالت : أحب خلق الله إليك ، عائشة ابنة أبي بكر .

قال : ومن الثيب ؟ .

قالت : سودة بنت زمعة ، قد آمنت بك واتبعتك .

قال : فاذهبي ... فاذهبي ... فاذهبي .

فدخلت بيت أبي بكر فقالت : يا أم رومان ، ماذا أدخل الله عليك من

الخير والبركة ؟ .

قالت : وما ذاك ؟

قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة .

قالت : أنظري أيا بكر حتى يأتى .

فجاء أبو بكر ، فقالت يا أبا بكر ، ماذا أدخل الله عليكم من

الخير والبركة ؟ .

قال : وما ذاك ؟ .

قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة .

قال : وهل تصلح له ؟ إنما هي ابنة أخته ؟ .

فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال :
« ارجعي إليه فتولي له أنا أخوك ، وأنت أختي في الإسلام ، وابنتك تصلح لي » .

فرجعت فذكرت ذلك له ، قال : انتظري وخرج .

قالت أم رومان : أن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه ، والله ما وعد
أبو بكر وعداً قط فأخلفه .

فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي ، وعنده امرأته أم الصبي ، فقالت
يا ابن أبي قحافة ، لملك مصبي صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه إن
تزوج إليك ؟ .

فقال أبو بكر لمطعم بن عدي : إنها تقول ذلك ؟ ! .

فخرج من عنده ، وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعده .

فرجع قتال الخولة : ادعى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فدعته فزوجها إياه

قصة زواج سودة

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت : ما أدخل الله عليك من
الخير والبركة ؟ .

قالت : وما ذاك ؟ .

قالت : أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك إليه .

قالت : ووددت ، ادخلي إلى أبي بكر فاذا كرى ذلك له .

فدخلت عليه ، فحيدته بتحية الجاهلية ، فقال : من هذه ؟ .

قالت : خولة بنت حكيم .

قال : فما شأنك ؟ .

قالت : أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة ،

صالح : كفؤ كريم .

قالت : ماذا تقول صاحبتك ؟ .

قال : تحب ذلك . . . ادعيها إلى .

فدعتها ، قال : أي بنية : إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

قد أرسل يخطبك ، وهو كفؤ كريم ؛ أتحبين أن أزوجه بك ؟ .

قالت : نعم .

قال : ادعيه لي .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه .

زفاف عائشة

قالت عائشة تروي قصة زفافها : قدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيتنا ، واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء فجاءتني أمي وأنا لني أرجوحة بين عذقين ، يرجح بي ، فأنزلتني من الأرجوحة ، ولى جبيعة فقرقتها ، ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب ، وإني لأنهج حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير في بيتنا ، وعنده رجال ونساء من الأنصار ، فأجلستني في حجره ثم قالت : هؤلاء أهلك ، فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك ، فوثب الرجال والنساء فخرجوا ، ودخل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا .

لماذا تزوج سودة ؟

وها هو ابن عباس يروي لنا أسباب زواجه صلى الله عليه وسلم من سودة

فيقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصيبة ، كان لها خمس صبية — أوست — من بعلها مات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يمنعك مني ؟ » قالت : والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحب البرية إليّ ، ولكن أكرمك أن يمتنوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية . قال فهل منعك مني غير ذلك ؟ قالت : لا والله . قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك الله ، إن خير نساء ركن عجائز الإبل ، صالح نساء قريش ، أحناه على ولد في صفره ، وأرعاه على بعل بذات يده . وكان زوجها قبله عليه السلام السكران بن عمرو وكان بمن أسلم وهاجر إلى الحبشة ، ثم رجع إلى مكة فمات بها قبل الهجرة . وهذا يقتضي أن عتده على عائشة كان متقدماً على تزويجه بسودة بنت زمعة ، ولكن دخوله على سودة كان بمكة ، وأما دخوله على عائشة فآخر إلى المدينة في السنة الثانية .

لا تبكي يا بنية ! ..

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ! .

فلما نثر ذلك السفهاء على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، قامت إليه إحدى بناته فجعلت تفسل عنه التراب وهي تبكي .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : « لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أبالك » .

حتى الطائف ... تؤذى رسول الله !

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من

الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب .
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النعرة من ثقيف
والمنعة بهم من قومه .

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفر من
ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم .. وهم إخوة ثلاث .
فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الله ، وكلهم بما
جاءهم له من نصرتة على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه .
فقال له أحدهم : هو يمزق ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك .
وقال الآخر : أما وجد الله أحدا يرسله غيرك ؟ !

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ، لأن كنت رسول من الله كما تقول .
لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولأن كنت تكذب على الله .
ما ينبغي لي أن أكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد بش من خير ثقيف ،
وقال لهم « إذ فعلتم ما فعلتم ، فاكتموا عني » وكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يبلغ قومه عنه فيحرقهم ذلك عليه .

فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع
عليه الناس .

وقعد له أهل الطائف صفيين على طريقه ، فلما مر جعلوا لا يرفع رجليه ،
ولا يضمهما إلا رضحوها بالحجارة حتى أدموه ، فغاص منهم وهما يسيلان الدماء ..
وألجأوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابن ربيعة وهما فيه .

ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يبقعه ، فعمد إلى ظل عتبة فجلس فيه ..
وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان مالتى من سفهاء أهل الطائف .

فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم إني أشكو ضعف

قوتى ، وقلة حياتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ،
وأنت ربى ، إلى من تكلمنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟
إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعود بنور
وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل
بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى^(١) حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة
إلا بك » .

فلما رآه ابنا ريعة ، ومالقي ، تحركته رحمتها ، فدعوا غلاماً لها نصرانياً
يقال له عداس .

قالا له : خذ عنقوداً من هذا العنب ، فضعه فى هذا الطبق ، ثم اذهب به
إلى ذلك الرجل ، فقل له يا كل منه .

فقبل عداس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ثم قال له : كل .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال : بسم الله ،
ثم أكل .

فنظر عداس فى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل
هذه البلاد .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ومن أهل أى البلاد أنت
يا عداس ؟ وما دينك ؟ » .

قال : نصرانى .. وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرية الرجل الصالح يونس
ابن متى ؟ » .

فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟

(١) العتبى : الرضى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذاك أخى ، كان نبياً وأنا نبي » .
فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه .

الجن يستمعون !

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة ،
حين ينس من خير ثقيف .

حتى إذا كان بنخلة ، قام من جوف الليل يصلى ، فمر به نفر من الجن .
الذين ذكروهم الله تبارك وتعالى ، وهم سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له .
فلما فرغ من صلاته وَلَّوْا إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا .

فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عز وجل : (وَإِذْ صَرَفْنَا
إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) إلى قوله : (وَيُخْرِجُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ)
وقال تبارك وتعالى : (قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) إلى آخر القصة
من خبرهم من هذه السورة .

يعرض نفسه على القبائل !

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من
خلافه وفراق دينه ، إلا قليلاً مستضعفين ممن آمن به .
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم إذا كانت ،
على قبائل العرب : يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن
يصدقوه ويمتنعوه ، حتى يبين عن الله ما يشه به .

وكان لا يسمع بقدام يقدم مكة من العرب له اسم وشرف ، إلا تصدى له
فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده .

فما استجاب له من أحد !!

بيعة العقبة الأولى

فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .
فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك نفره ، ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه ،
فاجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام .
ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا .

وكانوا بيعة من الخزرج .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودعاهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها
ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

حتى إذا كان العام المقبل ، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فللقوه
بالبقية ، فبايعوه : « أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا تزني ، ولا نقتل
أولادنا ، ولا نأتي بهتاناً نفترية من بين أيدينا وأرجلتنا ، ولا نعصيه في معروف ،
فإن وفيتم فلکم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمرکم إلى الله عز وجل :
إن شاء غفر ، وإن شاء عذب » .

وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب .

فلما انصرف عنه صلى الله عليه وسلم القوم ، بعث معهم مصعب بن عمير ،
وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين .

فكان يصلي بهم ، ذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعض
ومضى مصعب يدعو الناس إلى الإسلام بالمدينة ، حتى لم تبق دار من دور
الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون .

وكان فيمن أسلم أسيد بن حضير ، وسعد بن معاذ .

يومه العقبة الثانية الكبرى

وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة .

فواعلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق .

قال حكيم بن مالك : حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من خيامنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نبلل نسل القطأ ، مستنطين ، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نساءنا .

قال : فاجتمعنا في الشعب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب ، وهو يؤمئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أسرا ابن أخيه .

فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا مشرا الخزرج ، إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه وما نفوه ممن خالفه فأتهم بما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده .

قال : قلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، نخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : «أبايكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم» . فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم والذي بئسك بالحق لمنعتك مما

نمنع منه أزرنا^(١) ، فبايعنا يارسول الله ، فنحن والله أهل الحروب ...
فاعترض أبو الهيثم بن التيهان قال : يارسول الله ، إن بيننا وبين الرجال
جبالا (يعنى اليهود) وإنا قاطعوها ، فهل عنيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك
الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « بل الدّم الدّم ، والمدم
المدم »^(٢) ، أنا منكم وأتم منى ، أحارب من حاربتم ، وأسلم من سالمتم .
قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا إلى منكم
اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم » .
فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا : تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقباء : « أتم على قومكم بما فيهم كفلاء
ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي » (يعنى المسلمين) ..
قالوا : نعم .

(١) نساء تا .

(٢) كانت العرب تقول عند عقد الحلف : « دى ديك وعدى هدىك »

الهجرة

كيف كانت الهجرة؟

فلما عنت قريش على الله عز وجل، وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم، وعذبوا،
وحلفوا، من عبده ووجهه وصدق نبيه، أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله
عليه وسلم في القتال.

فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب : (أذنَ للذين يُقاتلون
بأنهم يُحاربون وإن الله على نهرهم لتقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بنير حق إلا
أن يقولوا ربُّنا الله .) .

فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب، وتابعه هذا الحى من
الأنصار على الإسلام والنصرة له ولن اتبعه وآوى إليهم من المسلمين، أمر
برسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من
المسلمين، بالخروج إلى المدينة، والهجرة إليها، والحق بإخوانهم من الأنصار .
وقال : « إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا وداراً يأمنون بها » .
فخرجوا أرسالاً (١) .

وأظم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج
من مكة والهجرة إلى المدينة .

واجتمع أشراف قريش، وغيرهم ممن لا يؤمن بالله من قريش .
فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم . فإنا
والله ما نؤمنه على الوثوب عينا فيمن قد اتبعه من غيرنا . فأجمعوا فيه رأيا .
فقال قائل منهم : احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به الموت .
ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا ، فنفيه من بلادنا ، فإذا خرج
عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع .

(١) طائفة بعد طائفة .

فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأيا ، ما أراكم وقتم عليه بعد .

قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليداً نسبيا وسيطا فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً .

فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه .

فلما كانت ظلمة من الليل ، اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام ، فيثبون عليه .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب « نم على فراشي ، وتسج ببردِي هذا الحضرمي الأخضر ، فم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء » تكرر منه منهم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام .

فلما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره لكنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعتم بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نارا تحرقون فيها ! .

وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « نعم أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم » ، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه .

فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج أتى أبا بكر فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر يتيه .

ثم عدا إلى غارِ بشَورِ جبَلِ بأسفل مكة ، فدخله .

واتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلاً .

فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمس الغار

لينظر أفيه سُبُع أو حية ؟ بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ! .
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر -
وجعلت قریش فيه حين ققدوه مائة ناقة لمن يردده عليهم .
حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أتاها صاحبهما الذي استأجراه
بيعيريهما ، وبعير له .

فركبا ... وانطلقا ...

وأردف أبو بكر الصديق ، عامر بن فهيرة مولاة خلفه ، لينخدمهما
بني الطريق .

وكانوا أربعة : رسول الله ... وأبو بكر ... وعامر ... وعبدالله بن
أرقط دليلهما .

فلما خرج بهما دليلهما سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل
حتى قدما المدينة لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ،
حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتلد .

وكان بين خروجه من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يوماً لأنه أقام بنار
ثور ثلاثة أيام .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، يومئذ ابن ثلاث وخمسين سنة ، وذلك
بعد أن بعثه الله عز وجل بثلاث عشرة سنة ،
وكان الطريق الذي سلكوه غير الطريق المألوفة وأبعد منها .

وصوله إلى المدينة

ودوى عن رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما سمعنا
مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة انتظرنا قدومه . كنا نخرج إذا
صلينا الصبح إلى ظاهر حَرَّتْنا ننتظره ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على

الجال ، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا ، وذلك في أيام حارة .
قالوا : حتى إذا كان اليوم الذي قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .
جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا .
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من
رآه رجل من اليهود .

فصرخ اليهودى بأعلى صوته : هذا جدكم قد جاء .
فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر .
رضي الله عنه في مثل سنه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ذلك .

وازدحم عليه الناس وما يعرفونه من أبي بكر .
حتى زال الظل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظله
بردائه ، فعرفناه عند ذلك ! .
وأقام على بن أبي طالب بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أدى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم .

بناء مسجد رسول الله

وبركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع لتلاميذ يمين من
بنى النجار .
فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجداً ، ونزل على أنى
أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه .
فبنى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرغب المسلمين في العمل فيه ،
فعمل فيه المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه .

ثم انتقل إلى مباحثه من بيت أبي أيوب .
وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة منهم
أحد إلا مفتون أو محبوس .

بدء التنظيم

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع
فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم
« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، بين
المؤمنين والمسلمين ، من قریش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ،
إنهم أمة واحدة من دون الناس ... وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده
إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين
ماداموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين : لليهود دينهم
والمسلمين دينهم ، مواليهم وأتقنهم ... » .

يؤاخي بين المهاجرين والأنصار

آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا المدينة لينهب
عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر
بعضهم ببعض .

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار .
فقال : « تآخَوْا فِي اللَّهِ أَخَوِينَ أَخَوِينَ » ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب
فقال : « هذا أخي » .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيد المرسلين ، وإمام المؤمنين ، الذي
ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوينا .

وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله ، وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين .
وتلك هي الأخوة الصادقة ، التي تزول فيها الحواجز والطبقات .

كيف كان الأذان ؟

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس إليه للصلاة حين موافقتها بغير دعوة .
فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم .
ثم كرمه ، ثم أمر بالناقوس ، فنتحت ليضرب به للمسلمين للصلاة .

فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد النداء ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طائف : مرّ بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده ، قلت له : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : ندعو به إلى الصلاة . قال أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنها الرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فآلقها عليه ، فليؤذن بها فإنه أندى صوتاً منك »
فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحمر رداً وهو يقول : يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فله الحمد ... » .

بدء عداوة اليهود وظهور النفاق

وَنَصَبَتْ عِنْدَ ذَلِكَ أَجْبَارَ يَهُودَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِدَاوَةَ بَغْيًا وَحَسَدًا ، لَمَّا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْعَرَبَ مِنْ أَخْذِهِ رَسُولَهُ مِنْهُمْ .

ومال إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان بقي على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث .

إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ، واجتماع قومهم عليه .

فظهروا بالإسلام ، واتخذوه وقاية من القتل ، وناققوا في الشر ، وكان هوام مع يهود .

وكانت علماء اليهود هم الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم وَيَتَعَمَّنُونَهُ ، وَيَأْتُونَهُ بِالْبَلَسِ لِيَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ .

فكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه إلا قليلا من المسائل في الحلال والحرام ، كان المسلمون يسألون عنها .

إسلام عبد الله بن سلام

قال عبد الله بن سلام : لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نترقب له ، فكنت مسرراً لذلك ، صامتاً عليه ، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فنزل بقباء في بني عمرو بن عوف ، أقبل رجلٌ حتى أخبر بتقدمه . وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة ابنة الحرث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرتُ ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيرى : خيبتك الله !! . والله لو كنت سمعت بموعى بن عمران قادمًا مازحت ! .

قال : فقلت لها : أى عمّة هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ،
بعث بما بعث به .

قال : فقالت : أى ابن أخى ، أهو النبي الذي كنّا نخبر أنه يبعث مع نفس
الساعة ؟ !

قلت لها : نعم .

فقالت : فذاك إذا .

ثم خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت . ثم رجعت إلى أهل
بيتي فأمسرتهم فأسلموا .

قال : وكنمت إسلامي من يهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقلت له : يا رسول الله ، إن يهود قوم بُهت ، وإني أحب أن تدخلني في بعض
بيوتك ، وتفييني عنهم ، ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا
إسلامي ، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني .

قال : فأدخلني رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض بيوته ، ودخلوا عليه
فكلموه وسألوه .

ثم قال لهم : أى رجلٍ الخُصينُ بن سلام فيكم ؟

قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا ، وعالمنا .

قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يا معشر يهود اتقوا
الله ، واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ، تجدونه
مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به ،
وأصدق وأعرفه .

قالوا : كذبت ، ثم وقعوا بي .

فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم
بُهت ، أهل غدر وكذب وفجور ؟

قال: وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحرث.
فحسن إسلامها.

* * *

وكما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلما زاد غيظ
اليهود، واشتد نفاق المنافقين، حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً
أصحابه بإخراج المنافقين من مسجده، فصاروا يسحبونهم ويلقون بهم
خارج المسجد.

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث السرايا ويقوم بالغزوات، في مجال
ضيق، للاستطلاع والاستكشاف.

وكان صلى الله عليه وسلم، يهدف من ذلك إلى تمرين أصحابه وإعدادهم
للقتال، وإلى إرهاب أعداء الله وإشعارهم بمنعة أصحابه.

متى حولت القبلة؟

صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة.

وحاصل الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة إلى
بيت المقدس والكعبة بين يديه، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه أن يجمع بينهما
فصلى إلى بيت المقدس أول مقدمه إلى المدينة، واستدبر الكعبة سبعة
عشر شهراً.

وكان عليه السلام يحب أن يصرف قبلته نحو الكعبة قبله إبراهيم، وكان
يكثّر الدعاء والتضرع والابتهاال إلى الله عز وجل، فكان مما يرفع يديه وطرفه
إلى السماء سائلاً ذلك.

فأنزل الله عز وجل: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً
تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) الآية.

فلما نزل الأمر بتحويل القبلة ، خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ، وأعلمهم بذلك .

فرض رمضان وزكاة الفطر

وفي السنة الثانية من الهجرة كذلك فرض صيام رمضان .
وفي هذه السنة أمر الناس بزكاة الفطر .
وفيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد ، وخرج الناس إلى المصلى ، فكان أول صلاة عيد صلاها .

غَزْوَةُ بَدْرٍ الْعُظْمَى

كيف كانت الغزوة؟

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام ، في غير قريش ، وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون .

وندب المسلمين إليهم وقال : « هذه غير قريش فيها أرواحهم ، فاخرجوا إليها لعل الله ينقلكموها » .

فانتدب الناس ، نفخاً بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً .

وكان أبو سفيان - حين دنا من الحجاز - يتحسب الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفاً على أمر الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك .
فحذر عند ذلك .

فاستأجر ضمضم بن عمرو ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لنا في أصحابه .

فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة . . . وصرخ يطن الوادي واقفاً على بعيره قد قطع أنف بعيره ، وحوّل رحله ، وشقّ قميصه وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة^(١) أموالكم مع أبي سفيان : قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الفوث الفوث .

فتجهز الناس سراعاً ، فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً .

وأوعبت قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحد : إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب قد تخلف وبعث مكانه العيص بن هشام .

(١) اللطيمة : الإبل تحمل اللطيم .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليالٍ مضت من شهر رمضان
في أصحابه .

خرج يوم الاثنين لثمان ليالٍ خلَّوَنَ من شهر رمضان .
واستعمل عمرو بن أم مكتوم على الصلاة بالناس .
ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، وكان أبيض .

وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع
علي بن أبي طالب يقال لها الثَّغَاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .
وكانت إبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين بعيراً «
فتناوبوها ...

وجعل على الساقة ، قيس بن أبي صَعَصَعَةَ .
وكانت راية الأنصار مع سعد بن معاذ .
فلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقه من المدينة إلى مكة ، فلما كان
على واد يقال له ذَفِرَان نزل .
وأناه الخبر عن قريش بمسيرهم لينعوا غيرهم .

يستشير أصحابه

فاستشار الناس ، وأخبرهم عن قريش .
فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن .
ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن .
ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امضِ لما أراك الله فنحن
معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (فاذهب أنت وربك
فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون .

فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْكِ^(١) الغِيَارِ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعاه به .
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشيروا عَلَى أيها الناس » ...
وإنما يريد الأنصار .
فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ : والله
لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟
قال : أجل .

قال : فقد آمنا بك ، وصدقتك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ،
وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله
كما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
نفخسته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا
غداً ، إنا لصبرٌ في الحرب ، صدقٌ في اللقاء ، لعل الله يربك منا ماتقرب به
عينك ، فسر بنا على بركة الله .

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك .

سيروا وأبشروا ... :

ثم قال : « سيروا ، وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ،
والله لكأننى الآن أنظرُ إلى مصارعِ القوم » .
مم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذَفِرَانَ ، ثم نزل قريشاً من
بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه هو أبو بكر الصديق ، يسأل عن أخبار
قريش .

(١) موضع بناحية اليمن .

فلما أمسى بعث عليّ بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر يلتصقون الخيل ، فأصابوا غلامين لقريش فأتوا بهما .

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُفَّ الْقَوْمُ ؟ » .
قالا : كثير .

قال : « ماعدتُهم ؟ » .
قالا : لا ندري .

قال : « كم ينحرون كل يوم ؟ » .
قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْقَوْمُ فِيمَا بَيْنَ الْقِسْمَانِ وَالْأُفَّ » .
وأقبل أبو سفيان حتى تقدم المير حَذِرًا ، حتى ورد الماء .
فرجع إلى أصحابه سريعاً فضرب وجه غيره عن الطريق ، وأخذ بها جهة الساحل ، وترك بدرأً يسار ، وانطلق حتى أصرع .

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز غيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجّاهما الله فارجعوا .
فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدرأً ، فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجزُر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، ويسمع بنا العرب وبمبيرنا وجمْعنا ، فلا يرالون يهابوننا أبداً بعدها ، فامضوا .

ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي .
وبعث الله السماء ، وكان الوادي ليناً لم يبلغ أن يكون رملاً .
فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماء لبّد لهم الأرض .
وجعل ترابها لا يشور ، ومهل لهم السير فيه ، ولم يمنعه من السير .
وأصلب قريشاً منها ماء لم يقدروا على أن يرتحلوا معه .

ينزل على رأى الحجاب !

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به .

قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل أمزلاً أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ .
قال : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة » .

قال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزله . ثم نغسل ماوراءه من الآبار (بأن يذفوا فيه أحجاراً وتراباً فيفسدوها على أعدائهم) ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء .
ثم تقابل القوم ، فتشرب ولا يشربون .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أشرت بالرأى » .
فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار ، حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالآبار فأفسدت ، وبني حوضاً على البئر الذى نزل عليه ، فملىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

بناء العريش

وقال سعد بن معاذ رضى الله عنه : يا نبي الله ، ألا نبني لك عريشاً نكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ماأحببنا . وإن كانت الأخرى جاست على ركائبك فلتحت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله مانحن بأشد لك حُباً منهم ، ولو ظننوا أنك تلقى حرباً ماتخلفوا عنك ، يمنحك الله بهم ، يناصحونك ويجهدون مملك .

فأنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعاه بخير .

ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ... فكان فيه .
وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذب
رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني . . . » .
فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة رجل جعلوا
يسكلمون في الرجوع .

فقام عتبة بن ربيعة خطيباً فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون
بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه
رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، وابن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا
وخلوا بين محمد وبين سائر العرب ...

فقال أبو جهل : كلاً ! . والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ! .

بدء المعركة

وخرج الأسود بن الأسود قائلاً : أعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم ، أو
لأهدمته ، أو لأموتنَّ دونه .

فلما خرج ، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، فلما التقيا ضربه
حمزة فأطار قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض .
فوقع على ظهره تشخُّبُ رجله دماً ، نحو أصحابه .
ثم جبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبرَّ يمينه .
واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

المبارزة

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد
ابن عتبة .

حتى إذا خرج من الصف دعا إلى المبارزة .

فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة .

قالوا : من أنتم ؟ .

قالوا : رهط من الأنصار .

قالوا : مالنا بكم من حاجة .

ثم نادى مناديتهم : يا محمد ... أخرج إلينا أ كفاءنا من قومنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُمْ ياعبيدةُ بن الحرِّ ، قم يا حمزة ،

قُمْ يا عليّ » .

فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ .

قال عبيدة : عبيدة .

وقال حمزة : حمزة .

وقال عليّ : عليّ .

قالوا : نعم ... أ كفاء كرام .

فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة

وبارز عليّ الوليد بن عتبة .

فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله .

وأما عليّ فلم يمهل الوليد أن قتله .

واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه .

وكر حمزة وعليّ بأسيا فهما على عتبة فأجهزا عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه

إلى أصحابه .

ثم تراخف الناس ، ودنا بعضهم من بعض .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، معه أبو بكر الصديق

رضي الله عنه .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سَبْعَ عشرة من شهر رمضان .
ثم عدّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ، ورجع إلى العريش ،
فدخله ومعه فيه أبو بكر ، ليس معه فيه غيره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد
ربه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم
لا تُعبدُ » .
وأبو بكر يقول : « يانبي الله ، بعض مناشدتك ربك ، فإن الله مُنجز لك .
ما وعدهك .

أول قتيل من المسلمين

وقد رُمي مِهْجَعٌ - مولى عمر بن الخطاب - بسهم قُتل .
فكان أول قتيل من المسلمين .
ثم رمى حارثة بن سراقة - وهو يشرب من الخوض - بسهم قُتل .

النبي يحرض أصحابه على القتال

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم ، وقال :
« والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتلُ صابراً محتَباً ، مقبلاً
غير مُدبر ، إلا أدخله الله الجنة » .
ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حفنة من الحصاء ، فاستقبل بها
قريشاً ، ثم قال : « شامتِ الوجوه » ثم رماهم بها .
وأخر أصحابه فقال : « شدوا » .
فكانت المزيمة .

فقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش ، وأسر من أسر من أشرافهم .
وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر « أحدٌ أحدٌ » .
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى أن يطرحوا في البئر ،
فطرحوا فيه .

ووقف عليهم فقال : « يا أهل القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ -
فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً ؟ » .

فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلم قوماً موتى ؟ !
فقال : « لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق » .

ذيل المعركة

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بما في المعسكر مما جمع الناس ، فجمع ، -
فاختلف المسلمون فيه .

فقال من جمعه : هو لنا .

وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه .

وقال الذين كانوا يخرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله ما أنتم
بأحق به منا .

فنزعه الله من أيديهم جميعاً ، وجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين على السواء .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رَوَاحَةَ بشيراً
إلى أهل العالية ، بما فتح الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى
المسلمين .

وبعث زَيْدَ بن حَارِثَةَ إلى أهل السَّافَةِ .

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ، ومعه الأسارى
من المشركين .

واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الفئائم التي أُصِيبَتْ من
المشركين .

ثم قسمه صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق على المسلمين على السواء .

تم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون
يهتفون به بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه
وقال : « استَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا » .

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحِمْيَرُ بن عبد الله ، فقالوا :
ما وراءك ؟ .

قال : قُتِلَ عُتْبَةُ ، وشَيْبَةُ ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمِّيَّة بن خلف . . .
وجعل يعدد أشراف قريش .

ومالبث أبو لهب أن مات بعد سبع ليال من إذاعة خبر هزيمة قريش
المنكرة ! .

قالوا : وناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لانفعلوا فيبلغ محمد وأصحابه
فيشمتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم عاجلاً ، حتى لا يشتد عليكم محمد وأصحابه
في الفداء .

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى .

وكان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم ، إلا
من لا شيء له ، فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه .

نزول سورة الأنفال

فلما انقضى أمر بدر أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأمرها .

وكان عدد من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار ثلاثمائة رجل
وأربعة عشر رجلاً . . من المهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً ، ومن الأوس واحد
وستون رجلاً ، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً .

واستشهد من المسلمين يوم بدر أربعة عشر .

لما قتلى المشركين فكانوا سبعين رجلاً ، والأمري كذلك .
وكان فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر في عقب شهر رمضان .

* * *

تلك هي معركة بدر الكبرى .
تلك للمركة التي سماها الله « يوم الفرقان » . يوم التقى الجمعان .
ولقد كان كذلك حقاً وصدقاً .
فعى يوم الفرقان لأنها فرقت بين الحق المستضعف والباطل المتغطرس .
فأعزت الحق ، وأذلت الباطل .

ودوى صوت بدر عالياً في الآفاق ... دوى في أنحاء جزيرة العرب ، وتسمع
بها العرب أينما كانوا .

وكان يزيد من دويها ، تلك الأشعار التي جمل أبناء مكة يطلقونها في الجزيرة
وينوحون بها على قتلاهم ، وتلك الأشعار الأخرى التي جمل بعض أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلقونها كذلك ، ، اعتزازاً بفضل الله عليهم
يوم بدر .

ولقد تجاوز ذلك الدوى بطاح مكة وأرجاء الجزيرة العربية إلى الحبشة
بلد النجاشي ، حيث يقيم عنده بعض من هاجر إليه فاراً بدينه ينتظر نصر الله .
قالوا : أرسل النجاشي ذات يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه ، فدخلوا
عليه فقال النجاشي : إني أبشركم بما مركم إنه جاءني من نحو أرضكم عين لي ،
فأخبرني أن الله قد نصر نبيكم ، وأهلك عدوه ، وأسر فلان وفلان ، وقتل
فلان وفلان .

أي فرحة تلك التي دخلت آنئذ إلى قلب جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين
أنبأهم النجاشي الخبر ؟!

وأي سعادة تموج في قلوبهم موجاً ، حين علموا أن الله قد صدقهم وعده
وأعز رسوله ومن معه من المؤمنين ؟ !

لقد دوت بدر في الأرض دويًا عاليًا شائخًا ، لأنها نصر الله .

كما دوت في السماء دويًا عظيمًا ، لأنها إرادة الله .

وكيف لا وقد كان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثمانمائة وأربعة عشر رجلاً منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بينما كان المشركون تسعمائة وخمسين رجلاً ورغم تفاوت الأسلحة ، وأن المسلمين خرجوا لا يريدون قتالاً ، بينما خرج المشركون يريدون قتالاً ونغراً ، رغم هذا كله كبت الكافرون وانتصر المسلمون ؟!

وكان الأعجب من ذلك أن الذين استشهدوا من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً بينما قتل من المشركين سبعون وأسر سبعون !! .

بل وأعجب من هذا كله أن ما كان مع المسلمين من الخيل هو فرسان ليس إلا !! .

لقد كانت فتحاً ، وكانت نصراً ، وكانت فاصلاً بين عهد الذلة وعهد العزة في الإسلام .

فهل هدأ صلى الله عليه وسلم ، بعد رجوعه من بدر ، وركن إلى الراحة ؟

غزوة بني سليم

كلا ... فإنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يبق بها إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم .

واستغفل على المدينة ابن أم مكتوم الأعشى ...

فبلغ ماء من مياههم يقال له الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يبق كيداً .

فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وفادى في إقامته تلك جل الأسارى من قريش .

غزوة السويق

وكان أبو سفيان - حين رجع إلى مكة - ورجعت فلول قريش من بدر نذر أن مايمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً !!! .
فخرج في مائتي راكب من قريش ، لتبريمينه ، فسلك حتى كان قريباً من المدينة ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حيي بن أخطب ففصر عليه بابه فآبى أن يفتح له وخافه .
فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك .
فاستأذن عليه ، فأذن له وأطعمه وسقاه . وأخبره من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم خرج في عقب ليلته ، حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش ، فأتوا ناحية منها يقال لها العريض . فخرقوا في نخيلها ، ووجدوا رجالاً من الأنصار ، وحليفاً له في زرع لها ، فقتلوهما ، وانصرفوا راجعين .
كأنه قد وقي بنذره ! .
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم . ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه .
ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواداً كثيرة ، قد ألقاه المشركون ، يتخفون منها ، وعامتها سويق ، فسميت غزوة السويق .
قال المسلمون : يا رسول الله أنطمع أن تكون هذه لنا غزوة ؟ .
قال : « نعم » .

غزوة ذي أمر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقبعة ذي الحجة ، أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمر .

فأقام بنجدٍ صغراً كله ، أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فلبث بها بقية شهر ربيع الأول كله ، إلا قليلاً منه .

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قريشاً ، حتى بلغ بُحْران معدّناً بالحجاز من ناحية الفرع . فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

حصار بنى قينقاع

كان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق قينقاع ثم قال : « يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرقتُم أن نبي مُرسَلٌ ، تجدون ذلك في كتابكم وَعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ » .

قالوا : يا محمد ، إنك تُرى أننا قومك ، لا يفرُّنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم قرصة ، إنا والله لنن حاربناك لتعلمنَّ أننا نحن الناس . وكان من قصة بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت ببضاعة لها . فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت .

فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها ، ففنده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله .. وكان يهودياً .

فشدت اليهود على المسلم فقتلوه .

فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع .

فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه .

وكانت محاصرته أيام خمس عشرة ليلة .

سرية زيد بن حارثة

وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام .
- حين كان من وقعة بدر ما كان - فسلكوا طريق العراق .
فخرج منهم تجارٌ فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة .
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، فلقاهم فأصاب تلك
الغير وما فيها ، وأعجزه الرجال .
فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مصرع كعب بن الأشرف اليهودي

وكان من قصته .. أنه لما أصيب أصحاب بدر ، وقدم زيد بن حارثة
وعبد الله بن رواحة يبشران أهل المدينة بالنصر . قال كعب : أحق هذا ؟
أتروُن محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان ؟ ! هؤلاء أشراف العرب
وملوك الناس . والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير
من ظهرها .

فلما تبين عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة .
وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الأشعار ،
وبكى أصحاب القليب من قريش .
ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فتغزل في نساء المسلمين وذكروهن
في أشعاره حتى آذاهن .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لِي بِابْنِ الْأَشْرَفِ ؟ » .
فخرج له جماعة من المسلمين وقتلوه ليلاً .
وأصبحت المدينة وليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه .

غزوة أحد

لماذا كانت المهركة؟

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع المنهزمون .
منهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره .

مشى رجال من قريش ممن أصيب آبائهم وإخوانهم يوم بدر .

فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك العير من قريش
تجارة ، قالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد جعل لكم عنده ثأراً ، وقتل
خيالكم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، فعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب
منا ، ففعلوا .

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب العير
بأحايشها ، وون أطلعها من قبائل كنانة وأهل تهامة .

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له وحشيٌ يقذف بحربة له قذف
الحبشة ، قلما يخطئ بها فقال له : أخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم
محمد . . . فأنت عتيق .

فخرجت قريش بخدما وجدها وحديدها وأحايشها ، ومن تابعها من بني
كنانة وأهل تهامة .

وخرجوا معهم بالنساء التماس الأنفة والفضب ، وأن لا يفروا .

فخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس ، بهند ابنة عتبة .
وكانت هند كلما مرّت بوحشي أو مر بها قالت : وينها أبا دسمنة ،
اشف واشتف .

فأقبلوا حتى نزلوا مقابل المدينة .

يَسْتَشِيرُ الشَّعْبَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ وَإِنْ هُمْ دَخَلُوهَا عَلَيْنَا فَأَتَلْنَاهُمْ فِيهَا » .
وَكَانَ رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزَةَ بَنِي سُلَيْمٍ مَعَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَكْرَهُ الْخُرُوجَ .

وَيَنْزِلُ عَلَى رَأَى الشَّعْبِ !

فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَسْرَمِ حَبْلٍ الْقَوْمِ ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَهُ فَلَبَسَ دَرْعَهُ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ .

فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَكَرْ هُنَاكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا ؟ فَإِنْ شِئْتَ فَأَقْعِدْ صِلَى اللَّهِ عَلَيْكَ .
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا يَنْفَعُنِي لَنْبِي إِذَا لَيْسَ لِأُمَّتِهِ (١) أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَقَاتِلَ » .

الْخُرُوجُ لِلْمَعْرَكَةِ

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ .
حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالشَّوْطِ - بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأَحُدَ - انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَرْزَةَ بَنِي سُلَيْمٍ بِثُلُثِ النَّاسِ .

وَقَالَ : أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي ، مَا نَدْرِي عِلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ ؟
وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ الشَّعْبُ مِنْ أَحُدَ فِي عَدْوَةٍ الْوَادِي إِلَى الْجَبَلِ ، فَجَعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إِلَى أَحُدَ .

وَتَعَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْقِتَالِ ، وَهُوَ فِي سَبْعِمِائَةِ رَجُلٍ . وَأُيْمَرُ

(١) لِأُمَّتِهِ : دَرْعُهُ .

على الرماة عبد الله بن جبّير ، وهو معلم يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلا ، فقال : انضج^(١) الخيلَ عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا فأنبئ مكانك ، لأننّوين من قبلك .

وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس قد قادوها ، فجعلوا على ميسنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل .

اللقاء ...

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدفوف يصررن بها خلف الرجل ، يُحرّضنهم ، فهلك هند فيما تقول :

وَيَهَيَّأُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَيَهَيَّأُ حِمَاةَ الْأَدْبَارِ ، ضَرْبًا بِكُلِّ مَقَارٍ .

وتقول :

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ وَنَفْرُشُ النَّمَارِقِ^(٢)

أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ فِرَاقَ غَيْرِ الْوَامِقِ^(٣)

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد « أَمِتْ

أَمِتْ » .

فاقتتل الناس حتى حيت الحرب .

مصرع حمزة !

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أبطالا .

قال وحشي : والله إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه وهزرت

حزبي ، حتى إذا رصيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في ثنثته ، حتى خرجت

(١) انضج : ادفعهم عنا .

(٢) النمارق جمع تمرقة ، ومن الوسادة الصغيرة .

(٣) الوامق : احب .

من بين رجله ، فأقبل نحوى ، فقلب فوقه ، وأمهله حتى إذا مات ، جثت ،
فأخذت حربتي ثم تنحّيتُ إلى العسكر ، ولم يكن لى بشئ ، حاجة غيره .
فدأ قتل مُضْعَبُ بن عُمَيْرٍ أَعْلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على-
ابن أئى طالب .

ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصدقهم وعده ، فقتلهم بالسيوف ، حتى
كشفهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها .
فلما رأى رماة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن قد انكشف القوم ،
وانهزموا ، وأن المسلمين عكفوا على الفنائم ، تركوا أماكنهم ، وخلصوا ظهور
المسلمين للخيـل ، فأتوا من خلفهم ، وصرخ صارخ : ألا إن عمداً قد قتل .
فرجع المسلمون ، ورجع عليهم المشركون .

وانكشف المسلمون فأصاب فيهم العدو ، وكان يوم بلاء وتمحيص .
خلّصَ العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بالحجارة ، حتى وقع
لشقه ، فأصيبت رباعيته ، وشجّ في وجهه ، وجرحت شفته ، وجعل الدم يسيل
على وجهه ، وجعل يمسح الدم ، وهو يقول : « كيف يُفْلِح قوم خضبوا وجه
نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ » .

• فأنزل الله عز وجل في ذلك « ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم
أو يعذبهم فإنهم ظالمون » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين غشيه القوم - : « من رجل
يشرى لنا نفسه ؟ » .

فقام خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجلاً
ثم رجلاً .. يقتلون دونه .

ثم رجعت فئة من المسلمين ، فأزالوهم عنه .

المرأة تقاتل دون رسول الله !

قالت أمُّ هَملرة : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء .

فاتَّهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه ، والغلبة والنصر للمسلمين .

فلما انهزم المسلمون ، انخَرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فمَمت أبأشر القتال ، وأذَّبُ عنه بالسيف ، وأزَمِي عن القوس ، حتى خَلَصتِ الجراح إلىَّ .

قالت : لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبل رجل يقول :
« دُونِي عَلَى مُحَمَّد ، فَلَا نَجُوتَ إِنْ نَجَا . »

فَاعْتَرَضْتُ لَهُ أَنَا ، وَمُصْعَبُ بْنُ عَمِير ، وَأَنَسُ بْنُ ثُبَّتٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ (كَانَ عَلَى عَاتِقِهَا جِرْحٌ أَجُوفٌ لَهُ غُورٌ) ، فَلَقَدْ ضَرَبْتَهُ عَلَى ذَلِكَ ضَرْبَاتٍ ، وَلَكِنْ عَدُوُّ اللَّهِ كَانَتْ عَلَيْهِ دِرْعَانٌ .

أروع أمثلة الفداية

وَتَرَمَّ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ ، يَقَعُ النَّبِلُ فِي ظَهْرِهِ ، وَهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبِلُ .

وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
وَكُلَّن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنَاولُهُ النَّبِلُ ، وَهُوَ يَقُولُ : « اِزْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » .

ماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ !

وَاتَّعَى أَنَسُ بْنُ النَّفَرِ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فِي رَجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَلْتَمَوْا بِأَيْدِيهِمْ قِتَالًا : مَا يَجْلِسُكُمْ ؟ .

قالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ .. فموتوا على مامات عليه رسول الله صلى
الله عليه وسلم .
ثم استقبل القوم قتائل حتى قتل .
عن أنس بن مالك قال : لقد وجدنا أنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة
فما عرفه إلا أخته ، عرفته بيناته !! .

هذا رسول الله

وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقول
الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك .
قال كعب : عَرَفْتُ عَيْنِيهِ الشَّرِيفَتَيْنِ تَزْهَرَانِ^(١) من تحت المغفر فناديت
بأعلى صوتي : يامعشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن « أنصت » .
فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم
نحو الشعب : معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ،
وطليحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، ورهط من المسلمين ..
أين محمد ؟

فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف ،
وهو يقول : أين محمد ؟ لانبجوت إن نبجوت .
فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعُوهُ » .
فلما دنا منه ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الخربة ، ثم استقبله
فقطعه ، فغلقه طعنة مال منها عن فرسه مراراً .

فمات عدو الله بسرف ، وهم قافلون به إلى مكة .
فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب معه أولئك النفر من أصحابه
إذ علت عالية من قريش الجبل .
كان على تلك الخيل خالد بن الوليد .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا » .
فقاتل عمر بن الخطاب ، ورهط معه من المهاجرين ، حتى أهبطوهم
من الجبل .
وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يوم أحد قاعداً ، من الجراح التي
أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

هند تمثل بحمزة !

ووقعت هند بنت عتبة ، والنسوة اللاتي معها ، يُمكنن بالقتلى من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقطعن الآذان والأنف ، حتى اتخذت هند من
آذان الرجال وأنفهم خلاخيل وقلائد ! .
وأعطت هند خلاخيلها ، وقلائدها ، وقرطتها وحشياً - قاتل حمزة - .
وشقت عن كبد حمزة فمضقتها ، فلم تستطع أن تبلعها ، فلفظتها !! .
ثم علت على صخرة مُشرقة فصرخت بأعلى صوتها ، فقالت :
شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي شَفَيْتُ وَحْشِي غَلِيلَ صَدْرِي
فَشَكَّرْتُ وَحْشِي عَلَى عُمرِي حَتَّى تَرِمَ (١) أَعْظَمِي فِي قَبْرِي
انتهاء المعركة

وانصرف أبو سفيان ومن معه ونابدى : إن موعدكم بدر للعام القابل .

(١) ترم : تنفنت .

قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : « قل نعم ... هو
بيننا وبينك موعد » .

لن أصاب بمثلك أبداً ..

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلتمس حمزة بن عبدالمطلب ، فوجده
يبطن الوادي قد يقرّ بطنه عن كبده ومثل به فقطع أنفه وأذناه .
ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال : « لن أصاب
بمثلك أبداً ، ما وقتت موقفاً قط أغيظ إلى من هذا » .

ادفنوهم حيث صرعو

وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنوهم بها .
ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال : « ادفنوهم حيث
صُرِعُوا » .
وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد ! .

فما فعل رسول الله ؟

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة .
ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار ، وقد أصيب
زوجها وأخوها وأبوهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد .
فلما نَعُوا لما قالت : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قالوا : خيراً يا أمّ فلان ، هو بحمد الله كما تحبين .
قالت : أرونيه حتى أنظر إليه .
فأشير لها إليه ... حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك صغيرة ! .
لم تفكر في قتلاها ، وإنما فكرت في صاحب الرسالة !! .
وهكذا كانوا ... ومن هنا خلدوا في الأرض ، وخلدوا في السماء .

إرهااب العدو

وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال ، من السنة الثالثة
من الهجرة .

فلما كان الغد من يوم الأحد ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الناس يطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد إلا حضر
يومنا بالأمس .

وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرْهِباً للعدو ، وليبلغهم أنه خرج
في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ،
وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها الاثنتين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع
إلى المدينة .

هذا وجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المهاجرين والأنصار في غزوة أحد ، سبعون رجلاً .
وجميع من قُتل يوم أحد من المشركين اثنان وعشرون رجلاً .

غزوة الجندق

يوم الرجيع

ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أُحُدٍ رَهْطٌ ، فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً ، فابْعَثْ معنا نفرًا من أصحابك يفتقروننا في الدين ، ويقرؤننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ستة من أصحابه .
فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع - ماء لهذيل بناحية الحجاز - غدّروا بهم .

ثم قالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم .
ثم قتلوا بعضهم بالطريق ، واحتملوا الباقي إلى مكة أسارى .
فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .
فابتاع حُبَيْبًا حُجَيْرُ بْنُ أَبِي إِمَابٍ .

وأما يزيد بن الدَّيْنَمَةِ فابتاعه صفوان بن أمية ليقته بآبيه أمية بن خلف - وبعث به صفوان بن أمية مع مولى يقال له : نَسْطَاسٌ ، إلى التنعيم ، وأخرجوه من الحرم ليقته .

واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقته : أنشدك الله يا زيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه ، وأنت في أهلك ؟ .

قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنى جالس في أهلي .

قال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً ، كحب أصحاب

محمد محمداً !!

ثم قتله نسطاس ..

وأما خُيِّبُ ، فحين خرجوا به إلى التَّعْنِيمِ ليصلبوه قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا .
قالوا : دونك فاركع .

فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لو لا أن تظنوا أني إنما طوَّلتُ جزءاً من القتل لاستكثرت من الصلاة .
فكان خييب أول من سنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .
ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا .

ثم قال : اللهم أحصِهِم عدداً ، واقْتُلِهِم بدداً^(١) ، ولا تغادر منهم أحداً .
ثم قتلوه ...

وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ... حب للرسول ...
وحب لدينهم ... وشهادة تتبعها شهادة في سبيل الله .
ولم تقف التضحية في سبيل الدعوة عند هذا الحد ، ولكن هناك ما هو أكبر من قتل أولئك الستة ؟ !

مصرع أربعين آخرين !

قدم أبو براء عامر بن مالك ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال : يا محمد ، لو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رَجَوْتُ أن يستجيبوا لك ؟ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أخشى عليهم أهل نجد » .
قاو أبو براء : أنا لهم جارٌّ ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عروة في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين .

(١) بددا : فرقا .

حصاروا حتى نزلوا بئر معونة .

فلما نزلوها بعثوا أحدهم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل .

فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى هجم على الرجل قتله .

ثم استصرخ عليهم قبائل من عَصِيَّة ، وَرِغْلٍ ، وَذَكْوَلٍ ، فخرجوا حتى أحاطوا القوم .

فلما رأوهم أخذوا سُيُوفهم ، ثم قاتلهم ، حتى قتلوا عن آخرهم .

وذمب الأربعون ... شهداء في سبيل الدعوة !

ومحاولة لاغتيال رسول الله !

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ، يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر .

فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين ، قالوا : نعم ، يا أبا القاسم ، نعمينك على ما أحببت بما استعنت بنا عليه .

ثم خلا بعضهم ببعض .

فقالوا : إنكم لن تجذوا الرجل على مثل حاله هذه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدارٍ من بيوتهم قاعد .

قالوا : فبن رجُلٍ يملو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ؟

فاتدب لذلك عمرو بن جَحَّاش ، فقال : أنا لذلك .

فصعد ليلقى عليه صخرة ...

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر

وعلى ، رضوان الله عليهم .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ، بما أراد القوم ،

فقام ، وخرج راجعاً إلى المدينة .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحرب اليهود والسير إليهم .
واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
ثم سار بالناس حتى نزل بهم ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة أربع
من الهجرة .
فحاصروهم فيها ست ليال .
ونزل تحريم الحمر ...

اجلاء يهود بني النضير

ففتحوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل
والتحريق فيها .

فنادَوْهُ : يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه ؟ . فما بال
قطع النخيل وتحريقها ؟ !

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج - منهم عدو الله عبد الله بن أبي
ابن سلول - قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلّمكم ،
إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم .
فتربصوا ذلك من نصرهم ... فلم يفعلوا .

وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يُجلبسهم ، ويكفّ ، عن دماءهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم
إلا السلاح .
ففعل ...

فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل
فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام
خرجوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير والجوارى
يعزّون خلفهم !

وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يضعها حيث يشاء .
فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار .

ونزل في بني النضير سورة الحشر بأمرها .

غزوة ذات الرقاع

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى .
ثم غزا نجداً . . . وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم .

حتى نزل نخلاً - موضع بنجد من أرض غطفان - فلقى بها جمعاً عظيماً من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

ألا أقتل لكم محمداً؟

ثم إن رجلاً من بني محارب يقال له : غَوْرَث . . . قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟
قالوا . بلى ، وكيف تقتله ؟
قال : أفنك به .

فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ، وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره .
فقال : يا محمد . . انظر إلى سيفك هذا ؟
قال : نعم . . وكان مُحَلًى بنفضة .

فأخذه فاستلّه ، ثم جعل يهزّه ، ويهّم فيسكبه الله .
ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟
قال : « لا ، وما أخافُ مِنْكَ ؟ » .
قال : أما تخافني ، وفي يدي السيف ؟
قال : « لا ، يَمْنَعُنِي اللهُ مِنْكَ »
ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّه عليه !

غزوة بدر الآخرة

ثم خرج في شعبان إلى بدر ، سنة أربع من الهجرة ، لميعاد أبي سفيان ،
حتى نزله .
فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان .
وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى بلغ عُسفان ، ثم بدّاه في الرجوع ،
فرجع الناس .
وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده .
ولكن أبا سفيان آثر العودة إلى مكة !

غزوة دومة الجندل

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل .
ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيدا .

غزوة الخندق

ثم كانت غزوة الخندق ، في شوال ، سنة خمس من الهجرة .
وكان من حديثها أن نفرا من اليهود ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ،
فدعّوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون
معكم عليه حتى نتأصله .

قَالَتْ لَهُمْ قُرَيْشٌ : يَامَعْشَرَ يَهُودَ ، إِنَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، وَالْعِلْمُ
بِمَا أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ بَيْنَ نَحْنُ وَمُحَمَّدٌ ، أَفَدِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ ؟ .

قَالُوا : بَلَى دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ ، وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ !! .

فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِقُرَيْشٍ مَرَّ مُمْرِسُهُمْ وَنَشِطُوا لِمَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فاجتمعوا للنك ، واتعدوا له .

ثُمَّ خَرَجَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ يَهُودٍ حَتَّى جَاءُوا غَطَفَانَ ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْ
قُرَيْشًا قَدْ تَابَعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَاجْتَمَعُوا مَعَهُ فِيهِ .

فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ وَقَائِدُهَا أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَخَرَجَتْ غَطَفَانُ وَقَائِدُهَا
عِيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ .

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا أَجْمَعُوا لَهُ مِنَ الْأَمْرِ ،
ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ .

فَعَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْغِيبًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ .

وَعَمِلَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ ؛ فَدَأَّبَ فِيهِ وَدَأَّبُوا .

وَأَبْطَأَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ
رِجَالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَجَعَلُوا يَسْتَتِرُونَ بِالضَّعِيفِ عَنِ الْعَمَلِ ، وَيَقْطُلُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ
بِفَيْرِ عِلْمٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَعَمِلَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ حَتَّى أَحْكَمُوهُ .

وَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ حَتَّى نَزَلَتْ
فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيْشِهِمْ ، وَمِنْ تَبِعِهِمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ .

وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ حَتَّى نَزَلُوا إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ .

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سُلْعٍ ،

فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

فغرب هناك ممسكته ، والخندق بينه وبين القوم :
وامتعل على المدينة ابن أم مكتوم .
وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الحصون .

غدر اليهود

وخرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد ، وكان قد وادع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده .
قال حيي : ويحك يا كعب ، جئت بك بعز الدهر وبيختر طام . . . جئتك
بقريش ، على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دومة . .
وبغطفان على قاداتها وساداتها ، حتى أنزلتهم إلى جانب أحد ، قد عاهدوني
وعاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

فلم يزل حيي بكعب ، حتى تقهر كعب بن أسد عهده ، وبرىء مما كان
بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما اتبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، وإلى المسلمين ، بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه ، ينظرون حقيقة الخبر .
فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم .
نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : من رسول الله ؟ !
لأعهد يميننا وبين محمد ولا عقدا .

ثم أقبل أولئك نفر وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر » . أبشروا يا معشر المسلمين .
وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن
أسفل منهم .

حتى ظن المؤمنون كل ظن .
ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال أحدهم : كان محمد يعدنا أن

ثأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الفناط .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شهر .

لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود ، تيمموا مكانا ضيقا من الخندق ، فغروا خيولهم فاقطعت منه ، وخرج على بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقصموا منها خيلهم .

وقتل على بن أبي طالب عمرو ، وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتطعت من الخندق هاربة .

وكان شطار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق « حم لا يُنصرون » .

إن الحرب خدعة

ثم إن نعيم بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة » .

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديما في الجاهلية - فقال : يا بني قريظة . . . إن قريشا وغطفان ليسوا كأتم : البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبنائكم ونسأؤكم ، لا تقدرون أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهروهم عليه ، فإن رأوا فرصة أصابوها ، وإن كان

غير فلك لحقوا ببلادهم ، واخلوا بينكم وبين الرجل يسلدكم ، ولا طاقة لكم به
إن خلا بكم ، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم ، يكونون
بأيديكم حقة على أن تقاتلوا معهم محمداً ...
فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال
قريش : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد
أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين ،
من قريش وغطفان ، رجلاً من أشرفهم ، فتعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ،
ثم نكون مملوك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ، فإن بشت إليكم يهود
يلتمسون منكم رهناً من رجالكم ، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج إلى غطفان ، فقال لهم مثل ما قال لقريش ، وجذرهم ما حذرهم .
فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس من الهجرة ، أرسل أبو سفيان ،
ورؤوس غطفان ، إلى بني قريظة أن أغدوا للقتال حتى تنأجر محمداً وتفرغ مما
بيننا وبينه .

فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا يعمل فيه شيئاً ، ولنا
مع ذلك الذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، فإننا نخشى أن
تتركونا والرجل في يدهنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت إليهم الرسل بما قالوا ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذي
حدثكم نعيم لحق .

فأرسلوا إلى بني قريظة : إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا
فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا .

فالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر
لكم نعيم لحق ، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأوا فرصة اتبرؤوا .

وإن كان غير ذلك انشعروا إلى بلادهم واخلوا بينكم وبين الرجل في بدهم .
فأرسلوا إلى قريش وخطفان : إنا والله لا نقاتل منكم محمداً حتى
تغطوا نار ههنا .

فأبوا عليهم وخطفان والله يعلمهم .

وبعث الله عليهم الريح في ليل شاتيه ، باردة ، شديدة البرد .
فجعلت تكفاً قد ورم ، وتفرحاً أبنيهم .

فلما رأى أبو سفيان ذلك قال : يا مشر قريش ، إنكم والله ما أنجيتهم
بدار مقام ، لقد هلك الخليل والإيل ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبأمننا عنهم الذي
نكره ، ولقيتنا من شدة الريح ما تزود ، ما قطعنا لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار
ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فإني مرسخ .

ثم قام إلى جملة ، ثم ضربه فوثب به .

وسمعت غطفان بما فعلت قريش من ارتحلها ، فانشعروا راجعين إلى بلادهم .

غزوة بني قريظة

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق ، راجعاً
إلى المدينة ، والمسلمون ، ووضعوا السلاح

فلما كانت الظهر أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقال له : إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم
فمزلزل بهم

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن في الناس : « من كان
سليماً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة »

يا إخوان القردة !

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه بوابته
إلى بني قريظة

وابتدرها الناس .

فسار على بن أبي طالب حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقلة قبيحة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، قال : يا رسول الله
لا عليك أن لا تدنوا من هؤلاء الأخابث .

قال : « لم ؟ أظنك نمت منهم لى أذى ؟ » .

قال : نعم يا رسول الله .

قال : « لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً » .

فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : « يا إخوتان
القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ » .

قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة .

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة .

حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب .

فلما أصبحوا ، نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت

الأوس فقالوا : يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، إيتهم كانوا موالينا دون

الخزرج ، وقد فعلت في موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - قبل بنى قريظة - قد حاصر بنى

قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبي ،

فوجههم له .

فلما كلمته الأوس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا ترضون بامعشر

الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم ؟ » .

قالوا : بلى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فذاك إلى سعد بن معاذ » .
قال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله ، وميثاقه إن الحكم فيهم
لما حكمت ؟ .

قالوا : نعم .

قال : وعلى من هاهنا ؟ .

في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم » .

وقال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتُسبى
الذراري والنساء .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : « لقد حكمت فيهم بحكم الله » .
ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، في دار
بنت الحرث ، امرأة من بني النجار .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ، فخذق بها خنادق .
ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق .
يُخرجُ بهم إليه طائفة بعد طائفة ، وفيهم عدو الله حُيَّ بن أخطب ، وكعب
ابن أسد رأس القوم .

وكانوا بين الثمانمائة والتسعمائة .

وقد قالوا لكعب بن أسد ، وهم يُذهبُ بهم إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم أرسالا : يا كعب ، ماتراه يصنع بنا ؟ .

قال : أفى كل موطن لا تقتلون ؟ ! . ألا ترون الداعي لا ينزع ، وأنه من
ذهب به منكم لا يرجع ؟ ! هو والله القتل .

فلم يزل ذلك الدأب ، حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأتى بيحيى بن أخطب ، عدو الله ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله ما كنت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يُخَذَّل .
ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل .

ثم جلس ، فضربت عنقه .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نساءهم ريحانة .
بنت عمرو ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفى عنها وهى فى ملكه .

وأُنزل الله تعالى فى أمر الخندق ، وأمر بنى قريظة من القرآن القصة فى .
سورة الأحزاب .

وفاة سعد بن معاذ

فلما انقضى شأن بنى قريظة ، انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

شهداء يوم الخندق

ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة منهم سعد بن معاذ .
وقتل من المشركين ثلاثة .

مصرع سلام بن أبي الحقيق

ولما انقضى شأن الخندق ، وأمر بنى قريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق .
فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فاستأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل سلام ، وهو بخير ،
فأذن لهم .

فخرج إليه من الخزرج خمسة ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن عتيك ، ونههم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .
فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا داره ليلاً . وضربوه بأسيا فمهم حتى قتلوه .
ثم عادوا ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه بقتل
عدو الله .

اسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد !

عن عمرو بن العاص قال : لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق ، جمعت
رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم تعلموا والله إني
أرى أمر محمد يملو الأمور علواً منكراً ، وإني لقد رأيت أمراً فاترون فيه ؟ .
قالوا : وماذا رأيت ؟ !

قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا
كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت
يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتيانا منهم إلا خير .
قالوا : إن هذا الرأي .

قال : فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية - وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه - فدخل عليه ، ثم خرج من عنده .
فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلت على النجاشي لسألته إياه .
فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد قتت مقامها حين
قتلت رسول محمد .

قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع . ثم قلت له : أيها الملك ،
إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطانيه
لأقتله . فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا .

ضُتِبَ وقال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر
الذي كان يأتي موسى لقتله ؟ !

قلت : أيها الملك ، أگذاك هو ؟ !

قال : وبحك يا عمرو !! أطلني واتبعه ؛ فإنه والله لعلى الحق ، وليظهر
على من خالفه كلما ظهر موسى على فرعون وجنوده .
قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ .
قال : نعم .

فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد تحوّل رأيي
عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم .
فلقيت خالد بن الوليد - وذلك قبيل الفتح - وهو مقبل من مكة ، فقلت :
أين يا أبا سليمان ؟ .

قال : والله لقد تبين الأمر ، وإن الرجل لنبي ، أذهبُ والله فأسلم ،
فحتى متى ؟ !

قال : قلت : والله ماجئت إلا لأسلم .
فتقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم خالد بن الوليد
فأسلم وبايع .

ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من
ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلام
يُجِبُّ^(١) ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها » .

وقالوا : إن عثمان بن طلحة كان معها ، أسلم حين أسلم .

(١) يجب : يقطع .

زواج أم حبيبة بنت أبي سفيان

قالت أم حبيبة : ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي ،
جارية يقال لها أبرهة ، فاستأذنت عليّ فأذنت لها ، قالت : إن الملك يقول لك
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أن أزوجه .
قلت ، بشرك الله بالخير .

وقالت : يقول لك الملك : وكلّي من يزوجه .

قلت : فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته ، وأعطيت أبرهة سوارين
من فضة ، وخواتيم من فضة في كل أصابع رجلي سروراً بما بشرتني به .
فلما أن كان من العشي ، أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ، ومن كان هناك
من المسلمين أن يحضروا .

وخطب النجاشي وقال : الحمد لله ، الملك القدوس المؤمن العزيز الجبار ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم .
أما بعد ... فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب أن أزوجه أم حبيبة بنت
أبي سفيان ، فأجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصدقها
أربعمائة دينار .

ثم سكب الدنانير بين يدي القوم .

فتكلم خالد بن سعيد فقال : ... أما بعد ، فقد أجبت إلى مادعا إليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فبارك الله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد ، فقبضها .

ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فإن من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن
يؤكل طعام على التزويج ، فدعا بطعام ، فأكلوا ، ثم تفرقوا .

زواج زينب بنت جحش

تزوجها عليه السلام سنة خمس من الهجرة ... في ذى القعدة ... بعد
بنى قريظة .

وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة : فمكثت عند زيد قريباً من سنة ،
ثم وقع بينهما خلاف ، فجاء زوجها يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فكان صلى الله عليه وسلم يقول له : اتق الله ، وأمسك عليك زوجك .
ثم طلقها زيد ... فلما انقضت عدتها بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
مخطبها إلى نفسه ، ثم تزوجها .

نزول الحجاب صديحة عرسها

وكان نزول الحجاب في هذا العرس صيانة لها ولأخواتها من أمهات المؤمنين .
عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب
بنت جحش دعا القوم ، فطمعوا وجلسوا يتحدثون ، فإذا هو يتبياً للقيام فلم يقوموا
فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر ، وجاء النبي صلى الله
عليه وسلم ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا فانطلقوا ، فمكثت فأخبرت
النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل ، فذهبت أدخل ، فالتقى
الحجاب بيني وبينه ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبي) الآية . (البخاري)

وتلك الآية هي قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا
أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طمتم
فانقشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيمتحي منكم والله
لا يستحي من الحق ، وإذا سألتهم من متاعاً فاسألوهم من وراء حجاب ، ذلكم
أطهر لقلوبكم وقلوبهم ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا أن تنكحوا
أزواجه من بعده أبداً ، إن ذلكم كان عند الله عظيماً . إن تبدوا شيئاً أو تخفوه ،
فإن الله كان بكل شيء عليماً) .

صُلَحُ الْحَدِيثِ

نحن الآن في سنة ست من الهجرة ، وهي السنة التي كان في أوائلها ...

غزوة بني لحيان

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ... وخرج على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة إلى بني لحيان .
وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غيرة .
فخرج من المدينة ، واستعمل عليها ابن أم مكتوم ... فوجدهم قد حنّوا ، وتمنّوا في رؤوس الجبال .

فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخطأ من غرتهم ما أراد قال :
« لو أننا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أننا قد جننا مكة ؟ » .
فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع النعميم ... ثم كرّ .
وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً .

غزوة ذي قرد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يبق بها إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن في خيل من غطفان على إبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له ، قتلوا الرجل ، واحتملوا المرأة في الإبل .

وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فصرخ بالمدينة الفزع ... الفزع .
فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما اجتمعوا إليه ، أمر عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : « اخرج في طلب القوم حتى ألتقك في الناس » .

وكان أول فارس لحق بالقوم مُحَرِّزُ بن نضلة وحمل عليه رجل منهم قتله ..

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

فقتلوا من لحقوا به من الأعداء ، واستنقذوا بعض الإبل .
وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد ، وتلاحق به الناس ، وأقام عليه يوماً وليلة .
ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً حتى قدم المدينة .
وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر .

غزوة بني المصطلق

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً ، ثم غزا بني المصطلق في شعبان سنة ست من الهجرة .
واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري .
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له ، فلما سمع بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له « المرَيْسَعُ » .
فتراحف الناس ، واقتلوا ، فهزم الله بني المصطلق ، وقتل من قتل منهم .
وغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم .

ليخرجن الأعز منها الأذل

فبينما رسول الله على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جَهْجَاهُ يقود فرسه .
فازدحم جهجاهُ وسنانُ بن وبرة الجهني ، حليف بني عوف بن الخزرج على الماء .

فأقتلا ، فصرخ الجهني : يامعشر الأنصار .
وصرخ جهجاهُ : يامعشر المهاجرين .

فغضب عبد الله بن أبي بن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم
علامٌ حدث ، قال : أَوَقَدْ فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدتنا
وجلايب قريش هذه إلا كما قال الأول « سَمَنَ كَلْبِكَ يَا كَلْبَ » أما والله لئن
وجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَ الأعز منها الأذل

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك
عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر
ابن الخطاب فقال : مُرْ به عبَّاد بن بشر فليقتله .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن
محمداً يقتل أصحابه ؟ لا ، ولكن أذن بالرَّحِيل .

وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها .

فارتحل الناس ...

وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
— حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه — فحلف بالله ما قلت ما قال ،
ولا تكلمت به ، وكان في قومه شريفاً عظيماً ..

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ،
وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ،
فلم يلبثوا أن وجدوا مَبَسَّ الأرض فوقهم نياماً .

وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث
الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المناقطين .

وأتى عبد الله — ابن عبد الله بن أبي — رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال : يا رسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه
فإن كنت لا بد فاعبلا فمُرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت

الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، وإني أخشى أن يأمر به غيري
فيقتله ، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي عيشي في الناس ، فأقتله .
فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر ؛ فأدخل النار .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل نترقب به ونُحسِنُ صحبتهُ
ما بَقِيَ معنا » .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث ، كان قومه هم الذين يصحبونه ، وبأخذونه
ويعفونه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب - حين بلغه ذلك من
شأنهم - « كيف ترى يا عمر ؟ » أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت
له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » .

قال عمر : قد والله علمتُ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظمُ بركةٍ
من أمري .

هذا وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق « يا منصور أُميتْ أُميتْ » .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبياً كثيراً .
فوزعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين .

زواجه جويرة بنت الحرث

وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرة بنت الحرث بن أبي ضرار ، زوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن
أبي ضرار بفداء ابنته .

فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء فرغب في بيعين منها
فغيبهما في شعب من شعاب العقيق .

ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتي وهذا فداؤها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأَيْنَ البعيران اللذان غَيَّبْتَهُمَا بالعقيق
في شِعب كذا وكذا ؟ » .

قتل الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت محمد رسول الله ، هو الله
ما أطلع على ذلك إلا الله ! .

فأسلم الحارث . وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه .

وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
ودُفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن إسلامها .

فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبيها : فزوجه إياها ، وأصدقها
أربعمائة درهم .

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، حتى إذا كان قريباً
من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

حديث الإفك

قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرًا أقرع
بين نسائه فأَيَّتَهُنَّ خرج معها خرج بها معه .
فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع ، فخرج
عليهن معه .

فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن
المَلَقَ^(١) ، لم يَهَيَّجَنَّ^(٢) اللحمُ فينقلن ، وكنت إذا رُحِل لي بعيرى جلست في
هودجى ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون لي ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل المودج
فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير
فينطلقون به .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك وجَّه قافلاً .

(١) العاق : طعامهن كان قلاباً . (٢) الهيج : انتفاخ الجسم .

حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعض الليل .
ثم أذن في الناس بالرحيل .
فارتحل الناس .

وخرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقدٌ لي فيه جُزْعُ ظَفَارٍ^(١) ، فلما فرغت .
انسلَّ من عنقي ولا أدري .

فلما رجعت إلى الرجل ، ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده .
وقد أخذ الناس في الرحيل .

فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته .
وجاء القوم خلا في الذين كانوا يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ،
فأخذوا اليهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه فشدوه على البعير ،
ولم يشكوا أني فيه .

ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به .

فرجعت إلى المعسكر وما فيه من داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس .
فتلفتُ بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو قد افتقدت
لرجع لي .

فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي ، وقد كان تخلف .
عن المعسكر لبعض حاجاته ، فلم يبت مع الناس .
فرأى سوادى^(٢) ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يراني قبل أن تضرب
علينا الحجاب .

فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، طعينة رسول الله صلى الله عليه .
وسلم ؟ ! .

وأنا متلفعة في ثيابي .

(١) الجزع : الخرز . وظفار : أمم المدينة . (٢) شخصي .

قال : ما خلفك يرحمك الله ؟

فما كلمته . . ثم قرَّب البعير فقال : اركبي ، واستأخر عني .

فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق مريعاً يطلب الناس .

فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس .

فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإفك ما قالوا : فارتعج^(١)

العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

وقالت : ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يلغني

من ذلك شيء .

وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبوي ،

لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً ، إلا أني قد أنكرت من رسول الله

صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بي .

كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي : فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك

فأنكرت ذلك منه . كان إذا دخل على وعندى أمي تمرضني قال : كيف نيكُم ؟

لا يزيد على ذلك .

حتى وجدت في نفسي ، قلت : يا رسول الله - حين رأيت ما رأيت من

جفائه لي - لو أذنت لي فانتقلت إلى أمي فمرضتني ؟

قال : « لا عليك » .

فانتقلت إلى أمي ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى نقيت من وجعي بعد

بضع وعشرين ليلة .

وكنا قوماً عرباً ، ولا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم

نعافها ونكرمها ، إنما كنا نذهب في فح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن

كل ليلة في حوائجهن .

(١) فارتعج : فزعك واضطرب .

فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أمٌ مسطّح . . . وكانت أمها خالة
أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

فوالله إنها التمشي معي إذ عثرت في مِرْطِها^(١) قالت : قم مسطّح .

قلت : بش لعمرك الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ؟ !

قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ !

قلت : وما الخبر ؟ .

فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك .

قلت : أو قد كان هذا ؟ !

قالت : نعم والله لقد كان !

فوالله ما قدرتُ على أن أقضي حاجتي ورجعت !

فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيعصدعُ كبدي .

وقلت لأُمي : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ولا تذكرين لي

من ذلك شيئًا ؟ ! .

قالت : أي بنية خفزي عليك الشأن ، فوالله قلما كانت امرأة حسناء عند

رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها .

وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك

فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي

ويقولون عليهم غير الحق ؟ . والله ما علمت منهم إلا خيراً ! ويقولون ذلك لرجل

والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي » !

وكان كبيرُ ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول ، في رجال من الخزرج ، مع

مع الذي قال مسطّح ، وخُنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش

كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تخلصني

(١) مرطها : كساهما .

في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فمصمها الله تعالى بدينها ، فلم تقل إلا خيراً ،
وأما حمزة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادني لأختها ، فشقيت بذلك .
فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة قال أسيدُ بن حضير يارسول
الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج
فرنا بأمرك ، فوالله لإنهم لأهل أن تضرب أعناقهم .

فقام سعد بن عبادة - وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً - فقال : كذبت ،
لعمرك الله لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم
من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ؟

فقال أسيد : كذبت لعمرك الله ، ولكنك مُنافك تجادل عن المنافقين .
وتشاور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين العيين من الأوس
والخزرج شر .

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على ، فدعا على بن أبي طالب رضوان
الله عليه وأسماء بن زيد فاستشارهما .

فأما أسماء فأنى على خيراً وقاله ، ثم قال : يارسول الله ، أهلك ولا نعلم
إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل .

وأما على فإنه قال : يارسول الله ، إن النساء لكثير ، وإنك لتقدر على أن
تستخلف ، ولسن الجارية فإنها لتصدقك .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُرَيْرَةَ ليدألما .

فقام إليها على بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : أصدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب
على عائشة شيئاً إلا أرى كنت أعجن عجنى فأمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتى
النساء فتأكله .

ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي أبواي ،

وهنئى امرأة من الأنصار... وأنا أبكى وهى تبكى معى ، فجلس لخط
الله وأتفى عليه ، ثم قال : « يا عائشة .. إنه قد كان ما قد بلغت من قول الناس ،
فأتى الله فإن كنتِ قارفتِ سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله فإن الله يهتد
التوبة عن عباده » .

فوالله ما هو إلا أن قال لى قلك فقلص^(١) معنى حتى ما أحس منه شيئاً
وانتظرت أبوى أن يجييا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلما !
وأيم الله لأنا كنت أحتر فى نفسى ، وأصغر شأننا من أن ينزل الله فى
قرآنا بقراً به فى المساجد ويصلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئاً يكذب به الله عنى ، لما يلم من براءتى ،
أو يخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل فى فوائى لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك .
فلما لم أر أبوى يتكلمان قلت لهما : ألا تحييان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ؟ !

قالا : والله ما ندرى لماذا نجيبه ! .

ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام .
فلما أن استعجبا على استميرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله بما
ذكرت أبداً ، والله إني لأعلم لئن أقورثت بما يقول الناس والله يعلم أنى منه
برية لأقولن ما لم يسكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى .
ثم التمت اسم يعقوب فما أذكره !

قلت : ولكن سأقول كما قال يوسف « فعبير جميل » والله المستعان
على ما صنفون » .

فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه حتى تنفضاه من الله
ما كان ينفضاه ، فسجى بشوبه ، ووضعته له وسادة من آدم تحت رأسه .

(١) قلص اللمع : ارتفع .

فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فرغت ولا ما كيت ، قد
عرفت أنى منه بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى .
وأما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ما شئى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتى من الله تحقيق
ما قال الناس .

أبشرى يا عائشة

ثم شئى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس ، وإنه ليتحدث منه مثل
الجمان فى يوم شات ، فجعل يمسح المرقع عن جبينه ويقول : « أبشرى
يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك » .
قلت : بحمد الله .

ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك .
ثم أمر بمسطح بن أنانة ، وحسان بن ثابت ، وسمنة بنت جحش -
وكانوا ممن أفصح بالفاحشة - فضربوا حدم .

غزوة الحديبية

نحن فى ذى القعدة سنة ست هجرية ، وهامو رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج معتمراً ، يريد زيارة البيت لا يريد حرباً .
واستنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب ومن حوله من أهل البوادر
من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب ،
أو يصدوه عن البيت .

فأبطأ عليه كثير من الأعراب .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن
لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ، ليأمن الناس من حربه
وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

• وكانوا أربع عشرة مائة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعسفان ، لقيه بشر ابن سفيان ، فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا ، قد لبسوا جلود الغنم ، وقد نزلوا بذى طوى ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قريش ، قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ؟ . فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ . فوالله لأزال أجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة ...

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ .

فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول الله .

فبلك بهم طريقاً وعرّاً أجزل بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين ، فأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي قال رسول الله : قولوا نستغفر الله ونتوب إليه .

فقالوا ذلك ...

فقال : والله إنها للّجِطَّة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض في طريق يخرج على ثنية المزارع مهيطة الحديبية من أسفل مكة .

فسلك الجيش ذلك الطريق .

فلما رأت خيل قريش قسرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش .

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثنية المزارع ، ثم قال للناس : انزلوا

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رجال من خزاعة فكلموه
وسألوه ما الذى جاء به ؟ .

فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظم الحرمته .
فرجموا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش إنكم تعجلون على محمد ، فإن
محمد لم يأت لقتال ، إنما جاء زائراً لهذا البيت .
فأتهموم وقالوا : وإن جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا غنوة
ولا تحبث بذلك عنا العرب .

ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفى ، فخرج
حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت
أو شاب الناس ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتقبضها بهم ؟ . إنها قريش
قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمر ، يماهدون الله لا تدخلها
عليهم غنوة أبداً .

فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه
لم يأت يريد حرباً .

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه .
فرجع إلى قريش فقال : يامعشر قريش ، إني قد جئت كسرى فى ملكه
وقيصر فى ملكه ، والنجالنى فى ملكه ، وإنى والله مارأيت ملكا فى قومه قط
مثل محمد فى أصحابه ! . ولقد رأيت قوما لا يسلّمونه لشيء أبداً ، فزوروا بكم .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب لبيعته إلى مكة ، فيبلغ
عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال له : يا رسول الله ، إنى أخاف قريشاً على نفسى ،
وليس بمكة من بنى هدى أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عدلوتى إياها . وغلظتى
عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى ، عثمان بن عفان .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبى سفيان

وأشرف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ،
معظماً لحرمته .

ففرج عثمان إلى مكة ... حتى أتى أبا سفيان وعظماً قريش ، فبلغهم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به .

فقالوا لعثمان حين بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن
نعطوف بالبيت فطفت .

قال : ما كنت لأفعل حتى يعطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم .
واحتبسته قريش عندها .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا تبرح
حتى تنجز القوم .

بيعة الرضوان

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البيعة ، وكانت بيعة الرضوان
تحت الشجرة .

وكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت
فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتخلف عنه أحد من
المسلمين حضرها .

وكان بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان فضرب بإحدى يديه
على الأخرى .

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا :
آت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله
لا نتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبداً .

فأنابه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال :
قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل .
فلما انتهى سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسكلم فأطال الكلام .
وتراجعا ... ثم جرى بينهما الصلح .
فلما التأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب ... ماذا جعلت ؟ .

عمر يرفض الصلح !

وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ .
قال : بلى .
قال : أولسنا بالمسلمين !
قال : بلى .
قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ .
قال : بلى .
قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ ! .
قال أبو بكر : يا عمر .. الزم غرزك . فإني أشهد أنه رسول الله .
قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .
ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ... أأنت
برسول الله ؟ .
قال : بلى .
قال : أولسنا بالمسلمين ؟
قال : بلى .
قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ .
قال : بلى .
قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ ! .

قال : أنا عبد الله ورسوله .. لن أخالف أمره .. ولن يضيعني .
ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه ..
الهدية

قال : اكتب . بسم الله الرحمن الرحيم .
قال مهيل : لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم .
فكتبها ...

قال : اكتب ... هذا ماصالح عليه محمد رسول الله ، مهيل بن عمرو .
قال مهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك
واسم أبيك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب ... هذا ماصالح عليه محمد بن
عبد الله ، مهيل بن عمرو ، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ،
يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض . على أنه من أي محمداً من قريش
بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا
عينة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغللال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد
وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .
فتوالت خزاعة . قالوا : نحن في عقد محمد وعهده .

وتوالت بنو بكر قالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم .. وإنك ترجع
عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وإنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلها
بأصحابك ، فأقت بها ثلاثاً ، معك سلاح الرماكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها
بنفسها .

ابن سفير قريش يأتي مسلماً !

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو ومهيل بن عمرو ،
إذ جاء أبو جندل بن مهيل بن عمرو يرسف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرجوا وهم لا يشكون
في التحم ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رأوها حللوا من الصلح ، والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم في نفسه ، دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون .
فلما رأى مهيل لئلا جندل ، قام إليه ، ففرب وجهه ، وأخذ بطيبيه وظال :
يا محمد .. قد جلت القضية بيني وبينك ؛ قبل أن يأتيك هذا ؟ .

قال : صدقت ...

فجعل يهتد بطيبيه ، ويحمره ، يعني يردّه إلى قريش ! .
وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين .. أريد إلى الشركين
يفتنوني في ديني ؟ !

فزاد ذلك الناس إلى ما بهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإن
الله جاعل لك ولن مملك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين
القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطيناهم عهد الله ، وإنا لا نقدر بهم » .

فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول : اصبر أبا جندل
فإنما هم الشركون ، وإنما دم أحدم دم كلب .

ويدنى عمر قائم السيف منه .

يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف ، فيضرب أباه .

فرض الرجل بآبيه ، ونفخت القضية .

شهود الصلح

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا من المشركين .

أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله ابن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمود بن مسلة ، ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبي طالب وكان هو كاتب الصحيفة .

يتحلل من إحرامه

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضارباً خيامه خارج منطقة الحرم ، وكان يصلي في الحرم .

فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فخلق رأسه . فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحى وحلق ، تَوَاثَبُوا يَنحَرُونَ وَيَحْلِقُونَ .

نزول سورة الفتح

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً . حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) . ثم كانت القضية فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة فقال جل ثناؤه : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنكُتْ عَلَى نَفْسِهِ وَمَن أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فسيؤتيه أَجْرًا عَظِيمًا) .

ثم قال الله تعالى : (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً . وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها ، وكان الله على كل شيء قديراً) .

ثم قال تبارك وتعالى : (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) يعني سهيل بن عمرو ، حين حى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وأن محمداً رسول الله .

ثم قال تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مخلفين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا) أى : لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رأى أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف .

ثم يقول تبارك وتعالى : (فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً) صلح الحديبية .

فما فتح في الإسلام فتح ، قبله كان أعظم منه .

إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووصعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا ، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، ولم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه .

ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر والدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف .

الحمار الأولي للصلح

فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أناه أبو بصير ، وكان ممن
حسب بمكة .

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كتبت فيه قریش إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثوا رجلاً ومعه مولى لهم .

فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح
لنا في ديننا الفدر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً
فانطلق إلى قومك » .

قال : يا رسول الله ، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟
قال : « يا أبا بصير ، انطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولن معك من
المستضعفين فرجاً ومخرجاً » .
فانطلق معهما ...

حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحبه .
فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟
فقال : نعم .

قال : انظر إليه ؟

قال : انظر إن شئت .

فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله .

وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالماً قال : « إن هذا الرجل قد
رأى فرجاً » .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحك ! مالك ؟ .
قال : قتل صاحبكم صاحبي .

فما برح حتى طلع أبو بصير مُتَوَشِّحًا بالسيف ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وفّت ذِمَّتكَ ، وأدّى الله عنك ، أسلمتني بيد القوم ، وقد امتنعت بديني أن أقتن فيه ، أو يعيث بي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويلُ أمّه يحشّ حرب^(١) ، لو كان معه رجال » .
ثم خرج أبو بصير حتى نزل على ساحل البحر بطريق قريش ، التي كانوا يأخذون غايها إلى الشام .

وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصيره « ... لو كان معه رجال » .

فخرجوا إلى أبي بصير ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا .
وكانوا قد ضيّقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتله ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها .

حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ! .

فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

وكانت تلك هي القطاف الأولى لصاح الحديبية ! .

المؤمنات المهاجرات

وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عُقْبَةَ بن أبي مَعِيْظٍ في تلك المدة .

فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عتبة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يرُدَّها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحديبية .

(١) أي أنه يؤقت الحرب ويهيجها ويشعل نارها .

فلم يفعل ... وأبى الله ذلك ...

يقول تبارك وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لهن حل لهن ولاهن يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتوهن أجورهن ولا تمسكوا بمعصم الكوافر) ...
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه .

فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبى الله أن يرذن إلى المشركين ، إذا هن امتحن بمحنة الإسلام فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة في الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتسبن عنهم ، إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نساءهم ، ذلك حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ورد الرجال .
ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما ردّ الرجال .

ولولا الهدنة والمهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يرذن لهن صداقاً ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من الملمات قبل العهد .

دعوة ملوك الأرض إلى الإسلام

وفي ذى الحجة من سنة ست من الهجرة ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة من أصحابه إلى ملوك الأرض في ذلك الزمان .
حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية .
وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك عرب النصارى .
ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم .
وعبد الله بن حذافة إلى كسرى ملك الفرس .

وسليط بن عمرو إلى هوزة بن علي الخنفي .
وعرو بن أمية إلى النجاشي ملك النصارى بالحبيشة ، وهو أصحمة بن الحر .
وهكذا كان صلى الله عليه وسلم ذائماً الدعوة إلى ربه ، بما كاد يعقده صلح
الحديبية ، ويرجع إلى المدينة ، حتى أخذ يبعث رسله إلى أنحاء الأرض .

قصة قيصر

قال أبو سفيان : كنا قوماً تجاراً ، وكانت الحرب قد حصرتنا حتى نهكت
أموالنا ، فلما كانت الهدنة - هدنة الحديبية - بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانأمن إن وجدنا أمناً .

فخرجت تاجراً إلى الشام ، مع رهط من قريش ، فوالله ما علمت بمكة امرأة
ولا رجلاً إلا وقد حملني بضاعة .

وكان وجه متجرتنا من الشام غزة ، من أرض فلسطين ، فخرجنا حتى قدمناها
وذلك حين ظهر قيصر صاحب الروم ، على من كان في بزرده من الفرس
فأخرجهم منها ، ورد عليه صليبه الأعظم ، وقد كان استلبوه إياه .

فلما أن بلغه ذلك ، وقد كان منزله بمحصر من الشام ، فخرج منها يمشي
متشكراً إلى بيت المقدس ، ليصلي فيه ، تبسط له البسط ، ويطرح عليها الرياض !
حتى انتهى إلى إيلياء ، فصلى بها .

فأصبح ذات غداة وهو مهموم ، يقلب طرفه إلى السماء .

فقال له بطارقه : أيها الملك ، لقد أصبحت مهموماً ؟ .

قال : أجل .

فقالوا : وما ذاك ؟ .

قال : أريت في هذه الليلة ، أن ملك الختان ظاهر .

فقالوا : والله ما نعلم أمة من الأمم تختن إلا اليهود ، وهم تحت يدك ،

وفي سلطانك ، فإن كان قد وقع ذلك في نفسك منهم ، فابعث في مملكته كلها ،

فلا يبق يهودي إلا ضربت عنقه ، فتستريح من هذا المم .

فإنهم في ذلك من رأيهم يديرونه بينهم ، إذ أتاهم رسول صاحب بصرى
برجل من العرب قد وقع إليهم ، فقال : أيها الملك ، إن هذا الرجل من العرب
من أهل الشام والإبل ، يحدثك عن حدث كان ببلاده ، فأسأله عنه .

فلما انتهى إليه ، قال لترجمانه : سله ما هذا الخبر الذي كان في بلاده ؟
فأسأله فقال : هو رجل من العرب ، من قریش ، خرج يزعم أنه نبي وقد
اتبعه أقوام ، وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم ، في مواطن ، فخرجت
من بلادي وم على ذلك .

فلما أخبره الخبر ، قال : جردوه .. فإذا هو مختن . فقال : هذا والله الذي
قد آريت ، لا ماتقولون ، أعطه ثوبه ، انطلق لشأنك .

ثم إنه دعا صاحب شرطته ، فقال له : قلب لى الشام : ظهراً لبطن ، حتى
تأتى برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ عجم علينا فأسألناه : ممن أنتم ؟
فأخبرناه ... فسألتنا إليه جميعاً .

فلما اتهمنا إليه قال : أيكم أمس به رحماً ؟
قلت : أنا .

قال : ادنوه مني .

فأجلسني بين يديه ، ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي ، وقال : إن كذب
فردوا عليه .

قال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم .

فزهدت له شأنه ، وصغرت له أمره ، قلت : سألني عما بدأ لك ؟ .

قال : كيف نسبه فيكم ؟ .

قلت : محضاً من أو سلطاناً نسباً .

قال : فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به ؟ .

قلت : لا .

قال : فأخبرني هل له ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوه عليه ؟

قلت : لا .

قال : فأخبرني عن أتباعه من هم ؟

قلت : الأحداث والضعفاء والمساكين ، فأما أشرافهم وذو الأنساب منهم فلا .

قال : فأخبرني عن صحبه أيحبه ويكرمه أم يقلبه ويفارقه ؟

قلت : ما صحبه رجل يفارقه .

قال : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه ؟

قلت : سجال يدال علينا وتدال عليه .

قال : فأخبرني هل يفدر ؟

قال أبو سفيان : فلم أجد شيئاً أغره به إلا هي .

قلت : لا .. ونحن منه في مدة ، ولا نأمن غدره فيها - فوالله ما التفت

إليها مني -

قال : زعمت أنه من أمحضكم نسباً ، وكذلك يأخذ الله النبي لا يأخذه إلا من

أوسط قومه ، وسألتك هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فهو يتشبه به

قلت لا ، وسألتك هل كان له ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه

ملكه قلت لا ، وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء

وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك عن يتبعه أيحبه ويكرمه أم يقلبه

وفارقه فزعمت أنه قل من يصحبه يفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان ، لا تدخل

قلباً فتخرج منه ، وسألتك كيف الحرب بينكم وبينه ، فزعمت أنها سجال ، يدال

عليكم وتداولون عليه وكدالك يكون حرب الأنبياء ، ولهم تكون العاقبة ، وسألتك

هل يفدر ، فزعمت أنه لا يفدر ، فأتى كنت صدقتني ليغابن على ماتحت قدمي

هاتين ، ولوددت أنى عنده ، فأغسل عن قدميه .

ثم قال : الحق بشأنك .

فهمت وأنا أضرب إحدى يدي على الأخرى وأقول : يا عباد الله ... أصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم ! .

ماذا في الكتاب ؟

قالوا : وقدم دحية بن خليفة على هرقل ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن أتيت فإن إثم الأكاريين (الفلاحين) عليك .

قالوا : فلما انتهى إليه كتابه وقراه ، أخذه فجعله بين نخذه وخاصرته . ثم كتب إلى رجل من أهل رومية ، كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ ، يخبره مما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فكتب إليه إنه النبي الذي ينتظرك لاشك فيه فاتبعه .

فأمر بعضاء الروم ، لجمعوا له في دسكرة ملكه ، ثم اطلع عليهم من عليه له وهو منهم خائف ، فقال : يامعشر الروم .. إنه قد جاءني كتاب أحمد ، وإنه والله النبي الذي كنا ننتظر ، ومجمل ذكره في كتابنا ، نعرفه بعلاماته وزمانه ، فأسلموا واتبعوه ، تسلم لكم دينكم وآخرتكم .

فنخروا نخرة رجل واحد ، وابتدروا أبواب الدسكرة فوجدوها مغلقة دونهم . فخافهم وقال : ردوهم على ، فردوهم عليه ، فقال لهم : يامعشر الروم ، إني إنما فات لكم هذه المقالة أختبركم بها ، لأنظر كيف صلابتكم في دينكم ، فلقد رأيت منكم ماسرني .

فوقعوا له سجداً ... ثم فتحت لهم أبواب الدسكرة فخرجوا !! .

قصة كسرى

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب إلى كسرى .
فأمر كسرى بإيوانه أن يزین ، ثم أذن لعظماء فارس ، ثم أذن لشجاع
ابن وهب .

فلما أن دخل عليه ، أمر كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يقبض منه .

قال شجاع بن وهب : لا ... حتى أدفعه أنا إليك ، كما أمرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال كسرى : ادنه .

فدنا ، فناوله الكتاب ، ثم دعا كاتباً له من أهل الخيرة فقرأه فإذا فيه :

« من محمد بن عبد الله ورسوله ، إلى كسرى عظيم فارس » .

فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وصاح ، وغضب ،

ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه !!

وأمر بشجاع بن وهب فأخرج .

فلما رأى شجاع ذلك ، قعد على راحلته ، ثم سار ، ثم قال : والله ما أبالي

على أي الطريقين أكون إذ أديت كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! .

ولما ذهب عن كسرى سورة غضبه ، بعث إلى شجاع ليدخل عليه ، فالتمس .

فلم يوجد ! .

فلما قدم شجاع على النبي صلى الله عليه وسلم أخبره بما كان من أمر كسرى

وتمزيقه لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« مزق كسرى ملكه » .

قصة المقوقس

عن حاطب بن أبي بلتعة قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى المقوقس ، ملك الإسكندرية ، فحمله بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فأنزلني في منزله ، وأقامت عنده .

ثم بعث إلى ، وقد جمع بطارقه وقال : إني سألك عن كلام فأحب أن
تفهم عني .

قلت : هلم .

قال : أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي ؟

قلت : بل هو رسول الله .

قال : فما له حيث كان هكذا ، لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده

إلى غيرها ؟

فقلت : عيسى بن مريم ، أليس تشهد أنه رسول الله ؟

قال : بلى .

قلت : فما له حيث أخذه قومه ، فأرادوا أن يصلبوه ، ألا يكون دعا عليهم

بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟

فقال لي : أنت حكيم ، قد جاء من عند حكيم .. هذه هدايا أبعث بها معك

إلى محمد ، وأرسل معك بحرس يحرسونك إلى ماأمرك .

فأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار ، منهن أم إبراهيم

ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم

لحسن بن ثابت الأنصاري ، وأرسل إليه بهدايا طريقة من طرائفهم .

وكان في جملة الهدية ، غلام أسود خصى ، وخفين ساذجين ، وبغلة بيضاء

اسمها الدلدل ! .

غزوة خيبر

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة - حين رجع من الحديبية -
ذات الحجة وبعض الحرم ، ثم خرج في بقية الحرم إلى خير .
ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكانت بيضاء .
ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خير قال لأصحابه .
« قفوا » .

ثم قال : « اللهم رب السماوات وما أظللن ، ورب الأرضين
وما أظللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذوين ، إنا
نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها ،
وشر أهلها ، وشر ما فيها ، أقدموا ، بسم الله » .
الله أكبر ، خربت خير

عن أنس بن مالك قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غز قوما لم يُفرِّ عليهم حتى يصبح
فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار .
فزلنا خير ليلاً ، فبكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أصبح لم
يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه
واستقبلنا عمال خير غادين ، قد خرجوا (بنؤوسهم وقفهم)
فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش قالوا : محمد والجيش معه ..
دبروا هرباً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر ، خربت خير ، إنا

افتتاح الحصون

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الحصون حصناً حصناً ،
الأدنى فالأدنى .

فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم .
ثم القموص حصن بنى أبي الحقيق .
وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها سبايا : منهن صفية بنت حيي
بن أخطب .

وفشت السبايا من خير في المسلمين .
ثم افتتح المسلمون حصن الصعب بن معاذ ، وما بخير حصن كان أكثر
طعاماً منه .

ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من
الأموال ما حاز ، انتهى إلى حصنهم ، الوطيح والسلام ، وكان آخر حصون
أهل خير افتتاحاً .

فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشرة ليلة .
وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خير « يامنصور
أمت أمت » .

مرحب اليهودي

خرج مرحب اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه يرتجز :
قد علمت خير أئى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليث أقبلت تحرب
وهو يدل بنفسه . ويقول : من يبارز ؟ .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لهذا ؟ » .
قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله . . . أنا والله الموتور العائر ، قل
أخى بالأمس .

قال : « قَسَمُ إِلَيْهِ .. اللَّهُمَّ أَعِنِّهِ عَلَيْهِ » .
فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة قديمة طويلة العمر ،
فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ؛ كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه

مادونه منها ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل
القاتل ، مافيها غصن .

ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه فانتفاه بدرقة ، فوق سيفه فيها ،
فعضت به فأمسكته .

وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

مصرع ياسر اليهودي

ثم خرج بعد مَرَّحِب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ؟

فخرج إليه الزبير بن العوام ، فالتقيا ، فقتله الزبير .

بطولة علي بن أبي طالب

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق برأيه إلى بعض
حصون خيبر . فقاتل فرجع ولم يك فتح ، وقد أصابه جهد ومشقة .
ثم بعث الغد عمر بن الخطاب ، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح ، وقد أصابه
جهد ومشقة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب
الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » ، ليس بفرارٍ .
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض
بها حتى يفتح الله عليك .

فخرج بها يهرول هرولة ، حتى ركز رايته في حجارة مجتمعة تحت الحصن .
ومعه نفر من أصحابه .

فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن : فقال : من أنت ؟

قال : أنا علي بن أبي طالب .

قال : علوْثُكُمْ ، وما أنزل على موسى .

فما رجع حتى فتح الله على يديه .

استسلام خيبر

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر في حصنهم ، الوطيع
والسلام ، حتى إذا أيقنوا بالهلاك ، سألوه أن ينفيهم ، وأن يحقن لهم
دماءهم ، ففعل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استولى على الأموال كلها ، وجميع
حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصنين .

فلما سمع بهم أهل فذك ، قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسألونه أن ينفيهم ، وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ،
فقعل .

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم
في الأموال على النصف .

وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها .

فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، على أنا إذا شئنا
نخرجكم أخرجناكم .

فصالحه أهل فذك على مثل ذلك .

فكانت خيبر فيثا بين المسلمين .

وكانت فذك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يجلبوا عليها
بمخيل ولا ركاب .

دس السم لرسول الله

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث زوجة
سلام بن مشكم اليهودية ، شاة مشوية .

وقد سألت . أى عضو من الشاة ، أحب إلى رسول الله ؟ .

فقيل لها : الذراع .

فأكثر فيها من السم ، ثم سمّت سائر الشاة ، ثم جاءت بها .
 فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الفراخ . فلاك
 منها مضغاً فلم يبلعها .
 ومعه بشر بن البراء ، وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 فأما بشر فأسلغها .
 وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ورمها ، ثم قال : « إن هذا
 العظيم ليخبرني أنه مسوم » ثم دعا بها فاصترفت .
 فقال : « ما حملك على ذلك » ؟
 قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، قلت إن كان ملكاً اصترحت
 معه ، وإن كان نبياً فسيخبر .
 فجلوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ۱۱
 وملت بشر من أكلته التي أكل .

حصار وادي القرى

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، انصرف إلى وادي
 القرى ، فحاصر أهله ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

ينامون عن صلاة الصبح !

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فكان يبيض
 الطريق قال من آخر الليل : « مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُ عَلَيْنَا الْفَجْرَ لِمَلْنَا نَنَامُ ؟ » .
 قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك .
 فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس ، فناموا .
 وقال بلال يصلي ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلي ، ثم استند إلى بغيره ،
 واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عينه ، فنام ، فلم يوقظهم إلا من الشمس .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب ، فقال : « ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ » .

قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك . قال : صدقت . فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس . . فلما سلم وأقبل على الناس فقال : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها فإن الله تبارك وتعالى يقول : أقم الصلاة لذكرى » . وكان فتح خيبر فى صفر من السنة السابعة من الهجرة .

النساء يشتركون فى الغزو

وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين ، فأعطاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من النوى ، ولم يضرب لهن بسهم . رَوَوْا عن امرأة من بنى غفار : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من غفار .

فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ؟ - وهو يسير إلى خيبر - فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ؟ . فقال : « على بركة الله » .

قالت : نخرجنا معه ، وكنت فتاة حدثة ، فأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رَحْلِهِ .

قالت : فوالله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح ، وأنا نَحْ ، ونزلت عن حقيبة رَحْلِهِ ، وإذا بهادمٌ منى ، وكانت أول حيضةٍ حضتها .

قالت : فتقبضتُ إلى الناقة واستحييتُ ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بى ، ورأى الدم ، قال : « مالك ؟ لعلك نُفِستِ^(١) » .

قالت : نعم .

قال : فأصلي من نفسك ، ثم خذي إناءً من ماء فاطرحي فيه ملحاً ، ثم اغسلي به ما أصابت الحقية من الدم ، ثم عودي لمركبك .

قالت : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ، أعطانا من النخيل وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها ، وعلقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقني أبداً .

فكانت في عنقها حتى ماتت ! .

وهكذا كان الصعاليك الجليلات يشتركن في الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان صلى الله عليه وسلم يعطينهم مما أفاء الله عليه .

قدوم جعفر من الحبشة

ثم إن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر .

فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ، والتزمه ، وقال : « ما أدرى بآيها أنا أمّر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ » .

وكان معه رجال ونساء ممن أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، عمرو بن أمية فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم عليه صلى الله عليه وسلم ، وهو بخيبر بعد الحديبية .

العودة من خيبر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهرين ربيع ، وجماديين ، ورجباً ، وشعبان ، ورمضان ، وشوالاً ، يبعث فيما بين ذلك سراياه .

عُمَرَةُ الْقَضَاءِ

ثم خرج في ذى القعدة ، في الشهر الذي صدّه فيه المشركون ، معتمرا عمرة القضاء ، مكان عمرته التي صدوه عنها .

لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة في ذى القعدة في الشهر الحرام ، الذي صدوه فيه من سنة سبع .
وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه .

وتحدثت قريش بينها أن عمدا وأصحابه في عُمرّة وجهّد وشدّة .
عن ابن عباس قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه . فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم — المسجد اضطبع^(١) بردائه ، وأخرج عضدّه اليمنى ثم قال : « رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » . ثم استلم الركن ، وخرج يهرول^(٢) ويهرول أصحابه معه .
حتى إذا وراه البيت منهم ، واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود .

ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرهما .
وحين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في تلك العمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام^(٣) ناقته يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكُلُّ الْخَسِيرِ فِي رَسُولِهِ

(١) الاضطباع : أن يدخل بعض رداءه تحت عضده اليمنى ويجعل طرفه على منكبيه الأيسر .

(٢) الهرولة : فوق الشئ ودون الجري .

(٣) الخطام : الحبل الذي تقاد به الناقة .

زواج ميمونة بنت الحارث

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك ، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .
وكانت ميمونة جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى زوجها العباس ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصدقها عنه أربعمئة درهم .

وذكروا أنه لما انتهت إليه خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، وهي راكبة بعيراً ، قالت : الجمل وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
وفيهما نزلت الآية (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) .

قريش تطلب إليه الرحيل !

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حوَيْطِب بن عبد العُزَي ، في نفر من قريش في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وما عَلَيْكُمْ لو تركتموني فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضتموه ؟ » .
قالوا : لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ثم انصرف إلى المدينة في ذي الحجة .
فأنزل الله عز وجل عليه : (لقد صدقَ الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنَّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين رؤسكم ومقصرين محلقين لا يخافون ...) .

قبل فتح مَكَّة

عمرو بن العاص يأتي مسلماً !

نحن في أوائل سنة ثمان من الهجرة .

وها هو عمرو بن العاص يأتي مسلماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان ذلك في شهر سنة ثمان من الهجرة .

يقول عمرو : فابتعت بغيراً ، وخرجت أريد المدينة ، حتى مررت على مر الظهران ، ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة ، فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير ، يريدان منزلاً ، وأحدهما داخل في الخيمة ، والآخر يمسك الراجلتين :

قال : فنظرت ... فإذا خالد بن الوليد .

قلت : أين تريد ؟

قال : محمداً ، دخل الناس في الإسلام ، فلن يبق أحيد به طعم : والله لو أقت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضيع في مغارتها .

قلت : وأنا والله قد أردت محمداً ، وأردت الإسلام !

نفرج عثمان بن طلحة ، فرحب بي ، فتنزلنا جميعاً في المنزل .

ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة ... فما أنسى قول الرجل لقيناه يقول : قد أعطت مكة المقادة بمد هذين .

وظننت أنه يعني ، ويعني خالد بن الوليد ، وولي مدبراً إلى المسجد سريماً ، فظننت أنه بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمنا ، فكان كما ظننت .

وأمنحنا بالهجرة ، فلبسنا من صالح ثيابنا ، ثم نودى بالمعصر ، فانطلقنا على أظلمنا عليه ... وإن لوجه تهلاً ، والساكنون حوله قد أسروا بإسلامنا .

فتقدم خالد بن الوليد فبايع .

ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع .

ثم تقدمت فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه ، فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه .

فبايعته على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولم يحضرنى ما تأخر ، فقال :

« إن الإسلام يحب ما كان قبله ، والهجرة تحب ما كان قبلها » .

خالد يروى قصة إسلامه !

عن خالد بن الوليد قال : لما أراد الله بي ما أراد من الخير ، قذف في قلبي الإسلام ، وحضرنى رشدى ، قلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد ، فأليس في موطن أشهده إلا انصرف وأنا أرى في نفسى أنى موضع في غير شىء ، وأن محمداً سيظهر .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية ، خرجت في خيل من المشركين ، فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه بمسفان ، فقتت بإزائه ، وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر أمامنا . فهممنا أن نغير عليهم ، ثم لم يعزم لنا .

فاطلع على ما فى أنفسنا من الهم به ، فصلى بأصحابه صلاة العصر ، صلاة الخوف . فلما صالح قريشاً بالحديبية ، ودافعتهم قريش بالرواح ، قلت فى نفسى : أى شىء بقى ؟

أين أذهب ؟ . إلى النجاشى ؟ فقد اتبع محمداً ، وأصحابه عنده آمنون ! فأخرج إلى هرقل ، فأخرج من دبنى إلى نصرانية أو يهودية ، فأقيم فى عجم ، فأقيم فى دارى بمن بقى ؟

فأنا فى ذلك ، إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى عمرة القضاء . فتغيت ، ولم أشهد دخوله .

وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء .

فطلبنى ، فلم يجدنى ، فكتب إلى كتاباً ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وعقلك عقلك ؟ ومثل الإسلام جهله أحد ؟ ! . وقد سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك وقال : أين خالد ؟ . قلت يأتى الله به . فقال : « مثله جهل الإسلام ؟ ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين كان خيراً له ، ولقد مناه على غيره » فاستدرك بأخى ماقد فأتك من مواطن صالحة .

فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج ، وزادنى رغبة فى الإسلام ، ومررنى سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى
فخرجت إلى منزلى ، فأمرت براحتى فخرجت بها ، إلى أن لقيت عثمان ابن طلحة . . .

فخرجنا سحرًا ، فلم يطلع الفجر حتى التفتنا بيأجج ، ففدونا حتى انتهينا إلى الهدة ، فوجد عمرو بن العاص بها . قال : مرحباً بالقوم ، قلنا : وما أخرجك ؟ . فقال : وما أخرجكم ؟ . قلنا : الدخول فى الإسلام ، واتباع محمد صلى الله عليه وسلم . قال : وذلك الذى أقدمنى .

فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة ... فلقينى أخى ، فقال : أمرع ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر بك ، فسر بقدمك ، وهو ينتظركم . فأمرعنا المشى ، فاطلعت عليه ، فما زال يتبسم إلى ، حتى وقفت عليه . فسلمت عليه بالنبوة ، فرد على السلام بوجه طلق .
قلت إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله .
فقال : « تعال » .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله الذى هدأك ، قد كنت

أرى لك عقلا ، رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير » .
قلت : يا رسول الله ، إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن ،
عليك معانداً للحق ، فادعوا الله أن يغفرها لي .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإسلام يحب ما كان قبله » .
قلت : يا رسول الله على ذلك ؟ .

قال : « اللهم اغفر لخالد بن الوليد ، كل ما أوقع فيه من صد عن سبيل الله » .
قال خالد : وتقدم عثمان وعمر و قبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
قدومنا في صفر سنة ثمان ، والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بي
أحدًا من أصحابه فيما حربه .

وهكذا . . . دخل خالد الإسلام . . . ليكون من بعد ذلك أعظم قائد
حربي شهدته الأرض !

وكذلك تتجلى عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم السياسية .

غزوة مؤتة

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيه ذى الحجة بالمدينة ، والحرم ، وصفرا ،
وشهرى ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام .
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة
ثمان من الهجرة .

واستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : « إن أصيب زيد جعفر بن أبي
طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فبعده الله بن رواحة على الناس » .
فتجهز الناس ، ثم تهيئوا للخروج .
وهم ثلاثة آلاف .

فلما حضر خروجهم ، ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلموا عليهم .

ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشيعهم .

٢٠٠٠٠٠ من الروم !

ثم مضوا ، حتى نزلوا معان من أرض الشام .
فبلغ الناس أن هرقل ، قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ،
وانضم إليهم مائة ألف آخرين من المستعربة .

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين يفكرون في أمرهم .
وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا ،
فإذا أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضي له .

فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال : يا قوم والله إن التي تكمهون للتي
خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ، ولا كثرة ،
ولا قنائهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فإنما هي إحدى
الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة .

فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة .

فمضى الناس ، حتى إذا كانوا بحدود البلقاء ، لقيتهم جوع هرقل من
الروم والعرب .

ثم دنا العدو ... فتعباً لهم المسلمون .

ثم التقى الناس ، واقتتلوا ...

فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هلك في
رماح القوم .

ثم أخذها جعفر ، فقاتل بها ، حتى إذا ألحمت القتال ، رمى بنفسه عن فرس
له شقراء ، فقترها ، ثم ترجل ، وقاتل القوم حتى قتل . وهو يقول :
ياحبذا الجنة واقترباًها طيبةً وبارداً شرابها

هذه هي بطولة جعفر !

وكان جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت
فاحتَصَنه بِعَضُدَيْهِ^(١) حتى قتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .
ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه نصفين .

الشهيد الثالث

فلما قتل جعفر ، أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها - وهو على
فرسه - فجعل يستنزل نفسه ، ويترددُ بعض التردد .
ثم نزل ... ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قُتل .

خالد يأخذ الراية

ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم ، فقال : يامعشر المسلمين ، اصطلحوا على
رجل منكم .
قالوا : أنت .

قال : ما أنا بفاعل .

فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى
بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف الناس .
ولقد كانت عبقرية عالية لخالد بن الوليد رضى الله عنه أن يخلص بثلاثة
آلاف من المسلمين من بين مائتي ألف من الأعداء .

رووا أنه لما قتل ابن رواحة مساء ، بات خالد بن الوليد ، فلما أصبح غدا ،
وقد جعل مقدمته ساقته ، وساقته مقدمته ، وميمينته ميسرته .

فأنكر الروم ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا : قد جاءهم مدد !
فرعبوا وانكشفوا منهزمين !

(١) حضن الرجل : ما تحت المخذ إلى أسفل .

إنه سيف من سيوفك

ومن حديث طويل : « ... فعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فأمر فنودي الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أخبركم عن جيشكم هذا ، إنهم انطلقوا قتلوا العدو ، قتل زيد شهيداً ، فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً ، فاشهد له بالشهادة واستغفر له ، ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً ، فاستغفر له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ، ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه سيف من سيوفك أنت تنصره » فمن يومئذ سمي خالد سيف الله .

فلما انصرف خالد بالناس ، أقبل بهم قافلاً .

فلما دنوا من حول المدينة ، تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون .

وجعل الناس يحشون على الجيش التراب ويقولون : يا فرار فررتم في سبيل الله ؟ ! .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى » .

غزوة ذات السلاسل

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام ، وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني يلى ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يتألفهم حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل - وبه سميت تلك الغزوة - خاف من كثرة عدوه . فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده .

فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأولين . فانتدب
أبو بكر وعمر في جماعة من سراة المهاجرين ، وأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليهم أبا عبيدة بن الجراح .
فلما قدموا على عمرو قال : أنا أميركم ، وأنا أرسلت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أستعده بكم .
فقال المهاجرون : بل أنت أمير أصحابك ، وأبو عبيدة أمير المهاجرين .
فقل عمرو : إنما أتم مدد أمدته .
فأما رأى ذلك أبو عبيدة ، وكان رجل حسن الخلق لين الشيمة ، قال : تعلم
يا عمرو أن آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « إذا قدمت
على صاحبك فتعلاوا » ، وإنك إن عصيتني لأطيعنك .
فسلم أبو عبيدة الإمارة لعمر بن العاص .
ولما آتب إلى عمرو بن العاص أبو عبيدة بن الجراح ، فصاروا خمسمائة فصاروا
الليل والنهار ، حتى وطئ بلاد بلي ودوخها .
وكما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع ، فلما سمعوا بك
تفرقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلي .
وحمل المسلمون عليهم ، فهزموا ، وأعجزوا هرباً في البلاد ، وتفرقوا ، ودوخ
عمرو ما هناك .

فَنَحْ مَكَّةَ

أسباب فتح مكة

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجباً .

ثم إن بني بكر عدت على خزاعة .

وقد مضى أنه لما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيما شرطوا له وشرط لهم ، أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

فلما كانت الهدنة اغتتمها بنو بكر من خزاعة ، وأراد أن يصيبوا منهم ثأراً .

واعتدت بنو بكر على خزاعة وقائلاً ، وقاتل من قريش من قاتل مع بني بكر !

ثم خرج نفر من خزاعة ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة .

أبو سفيان في المدينة

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه .

فقال : يا بُنَيَّةُ ، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟

قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت رجل مشرك
نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : والله لقد أصابك يابنية بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فكلّمه فلم يرد عليه شيئاً .

ثم ذهب إلى أبي بكر ، فكلّمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : ما أنا بفاعل .

ثم أتى عمر بن الخطاب ، فكلّمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ؟ ! فوالله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به .

ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعندها حسن بن علي يدب بين يديها فقال : يا علي إنك أمس القوم
بى رحماً ، وإني قد جئت فى حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لى إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! ! والله لقد عزم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ، ما نستطيع أن نكلّمه فيه .

فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة عمى ، هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير
بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟

قالت : والله ما بلغ بنى ذلك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحد على رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت علىّ فانصحنى .

قال : والله ما أعلم لك شيئاً يفنى عنك شيئاً ، ولكنك سيد بنى كنانة ،
فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك .

قال . أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟

قال : لا والله ما أظنه ، ولكنى لأجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان إلى المسجد ، فقال : يا أيها الناس ، إني قد أجزت بين
الناس ، ثم ركب بعيره ، فانطلق .

فلما قدم على قريش قالوا : ما وراءك ؟ .

قال : جئت محمداً ، فكلمته ، فوالله ما رد على شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أعدى العدو ، ثم أتيت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار على بشيء صنعته ، فوالله ما أدري هل ينفي ذلك شيئاً أم لا ؟ .

قالوا : وبم أمرك ؟ .

قال : أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت .

قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ .

قال : لا .

قالوا : ويلك ! . والله إن زاد الرجل على أن لعب بك ، فابغضت منك ما قلت ؟ .

قال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

الامر بالتعبئة

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالتعبئة . وأمر أهله أن يجهزوه . فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها ، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أي بنية أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ .

قالت : نعم ، فتجهز .

قال : فإين تُرَبِّينهُ يريد ؟ .

قالت : والله ما أدري .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة . وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها » .
فتجهز الناس ...

كتاب إلى قريش

لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ، يحذرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر في السير إليهم .

ثم أعطاه امرأة ، وجعل لها أجراً ، على أن تبلفه قريفاً .

فجعلته في رأسها ، ثم فلتت عليه قرونها ، ثم خرجت به .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء ، بما صنع حاطب .

فبعث على بن أبي طالب والزيير بن العوام فقال : « أدركا امرأة قد كتب

معه حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم .

فخرجنا حتى أدركاها ... فلستزلاها ، فالتصا في رحلها فلم يجدوا شيئاً .

قال لها على بن أبي طالب : إني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولا كذبنا ، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك .

فلما وأت الجدمته قالت : أعرض .

فأعرض ، فخلت قرون رأسها ، فلستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه .

فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم

حاطباً ، فقال : « يا حاطب ما حملك على هذا ؟ » .

قال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ،

ولكني كنت امرأة ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم

ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم .

قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلا تضرب عنقه ، فإن الرجل

قد نافق .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد

أطلع على أصعب بدر يوم بدر فقال : اعلموا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » .

فأنزل الله تعالى في حاطب : (يا أيها الذين آمنوا لا تخذلوا مدوياً وعدوكم
أولياء تلتقون إليهم بالوعدة) .

الخروج في رمضان

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة
أبا رهم كنان بن حصين .

وخرج لمشر مضي من شهر رمضان من سنة ثمان من الهجرة .
فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان
بالكديد أفطر .

ثم مضى حتى نزل مرة الظهران ، في عشرة آلاف من المسلمين .
وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف
منهم أحد .

قصة إسلام العباس بن عبد المطلب

وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض
الطريق ، لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقبلاً بمكة على سفائيه ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض .
وهكذا خرج العباس مهاجراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده
في أثناء الطريق ، وهو ذاهب إلى فتح مكة .

قصة إسلام أبي سفيان

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الظهران ... قال العباس ابن
عبد المطلب : هلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة عنوة ، قبل أن يأتوه فيستأمنوه : إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر .
قال : فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت

عليها حتى جئت الأراك ، قلت : لعل أجند بعض الخطابة ، أو صاحب لبن ،
أو ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا
إليه فيستأمنوه ، قبل أن يدخلها عليهم عنوة .

قال : فوالله إني لأسير عليها ، وأتمس ماخرجت له ، إذ سمعت كلام أبي
سفيان ، وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان .

وأبو سفيان يقول : مارأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً ؟

فيتقول بديل : هذه والله خزاعة ، حستها الحرب .

فيتقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل ، من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها .

قال العباس : فعرفت صوته ، قلت : يا أبا حنظلة ؟

فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟

قلت : نعم .

قال : مالك فذاك أبي وأمي ؟

قلت : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس
واصبح قریش والله ؟

قال : فما الحيلة فذاك أبي وأمي ؟

قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البعلة حتى
آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستأمنه لك .
فركب خلفي ورجع صاحبه .

فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين ، قالوا : من هذا ؟

فإذا رأوا بعلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا عليها قالوا : عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بعلة .

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : من هذا ؟

وقام إلى ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدوا الله ؟

الحمد لله الذى أمكن منك ، بغير عقد ولا عهد .

ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ، فسبقته بما يسبق الدابة البعلية الرجل البطيء .

فاتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان ، قد أمكن الله منه ، بغير عقد ولا عهد ، فدعنى فلا ضرب عنقه .

قلت : يا رسول الله إني قد أجرته ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنى به » .

فذهبت به إلى خيمتى ، فبات عندى ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » .

قال : « بآبى أنت وأمى ، ما أحلك وأكرمك وأوصلك !!! » . والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره ، لقد أغنى عنى شيئاً بعد .

قال : « ويحك يا أبا سفيان !! . ألم يأن لك أن تعلم أننى رسول الله ؟ »
قال : « بآبى أنت وأمى ، ما أحلك وأكرمك وأوصلك !! » . أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئاً .

فقال له العباس : « ونحك أسلم ، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قبل أن تضرب عنقك .

فشهد شهادة الحق ، فأسلم .

قال العباس : قلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً .

قال : « نعم . . من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » ، ومن أغلق عليه
بابه فهو آمن » ، ومن دخل المسجد فهو آمن » .

عرض الجيش

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس ، احبسه
بمضيق الوادي ، عند خَطْمِ الجبل ^(١) ، حتى تمر به جنود الله فيراها » .
قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي ، حيث أمرني رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن أحسسه .

ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟ ! فأقول :
سليم ، فيقول : مالي وسليم ؟ .
ثم تمر القبيلة فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟ . فأقول : مزينة ، فيقول :
مالي والمزينة ؟ .
حتى نفذت القبائل ، ما تمر قبيلة إلا يسألني عنها ، فإذا أخبرته بهم قال :
مالي ولبنى فلان .

حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء .
وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .
فيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم ، لا يُرى منهم إلا الخدق من الحديد .
فقال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ !!
قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في المهاجرين والأنصار .
قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك
ابن أخيك الغداة عظيماً .
قلت : يا أبا سفيان إنها الثبوة .
قال : فنعم إذن .

(١) أف الجبل ، وهو ثنى يخرج منه يضيق به الطريق .

قلت : السرعة إلى قومك .

هند تأخذ بشاربه !

حتى إذا جاءهم ، صرخ بأعلى صوته : يامشر قریش ، هذا عهد ، قد جاءكم
فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

قامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ...

قالت : اقتلوا الحيت^(١) الدسم الأحمر ، قبح من طليعة^(٢) قوم ١١٠ .

قال : ويلكم لا تفرنكم هذه من أنفسكم ! . فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم
به ... فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ؟ !

قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد فهو آمن .

ففرق الناس إلى دورهم ، وإلى المسجد الحرام .

التواضع لله

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي طوى ، وقف على راحلته
متمصيا ، بنصف بردة حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليضع رأسه
تواضعا لله ، حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح .

حتى إن عثونته^(٣) ليكاد يمسُّ واسطة الرِّجْلِ ! .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يدخل مكة دخول الجبارين
للتكبرين ، وإنما دخلها دخول الهداة المتواضعين .

عن أنس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح
وذقته على راحلته متخشعا .

(١) الحيت : زق السم ، والدم : الكثير الودك ، والأحمر : الشديد الحم -

تريد تشبيهه به لغضامته وسمه .

(٢) طليعة القوم . الذى يتقدمهم ، أو يبرسهم . (٣) ذقته .

ترتيب الجيش

وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين فرّق جيشه من ذى طوى .
أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدّى ، وكان الزبير على
الجنبّة اليسرى .

وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء .

وقالوا إن سعدا - حين وجه داخل - قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل
الحرمه ، فسمعها رجل من المهاجرين فقال : يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد بن
عبادة ، ما نأمن أن تكون له في قريش صولة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : « أذركه نخذ
الراية منه ، فكن أنت الذى تدخل بها » .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فدخل من أسفل مكة
في بعض الناس .

وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ، يَنْصَبُ لمكة بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة
وضربت له هناك قبته .

وناوش نفر قليل من المشركين ، وناوشهم خالد بن الوليد .

وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلا ، ثم انهزموا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين
أمرهم أن يدخلوا مكة ، ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم . إلا أنه قد عهد في نفر معاهم .
أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة .

خطبته يوم فتح مكة

لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وإطمان الناس ، خرج

حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته ، فلما قضى طوافه وقف على باب الكعبة ، وقد اجتمع له الناس في المسجد ، فقال : « لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يَدْعَى ، فهو تحت قدمي هاتين ، إلا صدانة البيت ، وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبيه العمد بالسوط والعصا فيه الدية مغلفة ، مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها .

« يامعشر قريش ، وإن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعلمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب .

ثم تلا هذه الآية : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى » الآية كلها .

ثم قال : « يامعشر قريش ، ماترون أننى فاعل فيكم ؟ » .

قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : « اذهبوا ، فأنتم الطلقاء » .

هالك مفتاحك يا عثمان !

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد .

فقام إليه على بن أبي طالب ، ومفتاح الكعبة في يده ، قال : يا رسول الله

اجمع لنا الحجابة مع السقاية ، صلى الله عليك ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين عثمان بن طلحة ؟ » .

فدعى له ، فقال : « هالك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء » .

كيف كان البيت ؟

رووا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه

صور الملائكة وغيرهم .

فرأى إبراهيم عليه السلام ، مُصَوِّراً ، في يده الأزرار ، يستقسم بها .

قال : قَاتَلَهُمُ اللهُ ، جَعَلُوا شَيْخَنَا يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ ؟ . مَا شَأْنُ إِبْرَاهِيمَ
وَالْأَزْلَامِ ؟ . (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .
ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الصُّورِ كُلِّهَا فَعَطَمَتْ .

جاء الحق وزهق الباطل

وعن ابن مسعود قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح
وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطلعنها بعمود في يده ويقول : « جاء
الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » . (البخارى)
وفي رواية مسلم قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مكة ،
وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم فأخذ قضيبه ، فجعل يهوى إلى الصنم ، وهو يهوى ،
حتى مر عليها كلها .

وهكذا ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت من تلك النجاسات ، وتلك
الطرافات التي جعلتها قریش وغيرها بيت الله الحرام .

إن الله حرم مكة

فلما كان من الغد يوم الفتح ، اعتدت خُرَاعَةٌ عَلَى رَجُلٍ مِنْ هُذَيْلٍ ،
فَتَلَّوْهُ وَهُوَ مُشْرِكٌ .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ
حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، فَهِيَ حَرَامٌ مِنْ حَرَامٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
فَلَا يَحِلُّ لِمَرءٍ يَزُومَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ فِيهَا دَمًا ، وَلَا يَعْصِدَ^(١)
فِيهَا شَجَرًا ، لَمْ تُحْلَلْ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي ، وَلَا تُحْلَلُ لِأَحَدٍ يَكُونُ بَعْدِي ، وَلَمْ تُحْلَلْ
لِي إِلَّا هَذِهِ السَّاعَةُ ، غَضِبًا عَلَى أَهْلِهَا ، أَلَا نُنَمُّ قَدْ رَجَعْتَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ ،

(١) يعصد : يقطع .

خَلِيلُ الشَّاهِدِ مِنْكُمْ الْغَائِبُ ، فَمَنْ قَالَ لَكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتِلٌ فِيهَا ، قَتَلُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْلَاهَا لِرَسُولِهِ ، وَلَمْ يُحْلِلْهَا لَكُمْ ، يَأْمُرُ خِرَافَةَ أَرْضُوا أَبْدِيَكُمْ عَنِ الْقَتْلِ فَلَقَدْ كَثُرَ الْقَتْلُ ... » .

ماذا قلتم ؟

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم — حين افتتح مكة ودخلها — قام على الصفا يدعو الله ، وقد أهدت به الأنصار .
فقالوا فيما بينهم : أترون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فتح الله عليه أرضه وبلده ، يقيم بها ؟
فلما فرغ من دعائه قال : « ماذا قلتم ؟ » .
قالوا : لا شيء يا رسول الله .
فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « معاذ الله ، الحياحيياكم ، والمات ممانكم » .

سرايا تدعو إلى الله

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السرايا ، تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال .
وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً .

فوطئ بني جذيمة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .
ووضع الناس السلاح لقول خالد .
فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكثفوا ، ثم عرضهم على السيف ، قتل من قتل منهم !

فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رفع يديه إلى السماء .
ثم قال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد » .

اللهم إني أبرأ إليك

ثم انفلت رجل من القوم ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأخبره الخبر .

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فقال : « يا علي
أخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » .
فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأعطاهم التعويضات عما أصابهم فوق ما يطلبون ، ثم رجع إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال : « أحببت وأحسنت » .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبل القبلة ، قائماً ، شاهراً يديه
حتى إنه يرى ماتحت منكبيه ، يقول : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد
ابن الوليد » . ثلاث مرات .

خالد يهدم العزى

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى .
وكانت بيتا يعظمه قريش وكنانة ومضر كلها .
فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انتهاء المعركة

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة
يقصر الصلاة .

كان فتح مكة لثلاث ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة .

غزوة حنين

نحن في السنة الثامنة من الهجرة بعد فتح مكة ...
لما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما فتح الله عليه من
مكة ، جمعها مالك بن عوف ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت
نصر ، وجُشَم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال وهم قليل .
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة
آلاف من أصحابه ، الذين خرجوا معه ففتح الله بهم مكة .
فكانوا اثني عشر ألفا ...

واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بن أسيد على مكة أميرا ،
ثم مضى على وجهه ، يريد لقاء هوازن .

الهزيمة !

عن جابر بن عبد الله : لما استقبلنا وادي حنين ، انحدرنا في واد من أودية
تهامة أجوف ، إنما ننحدر فيه انحداراً ، وكان في ظلام الصباح قبل أن يتبين ،
وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكنوا إلنا في شعابه^(١) وجوانبه ومضايقه ،
وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا .

فوالله ما راعنا ونحن مُنحطون إلا الكتاب قد شدوا علينا شدة رجل واحد .
وانقض الناس ، وانهزموا راجعين ، لا يلوى أحد على أحد .

أنا رسول الله

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : « أين أيها
الناس ، هلموا إليّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » .

(١) الشعاب : الطرق الخفية .

قال جابر : فلا شيء ! . حملت الإبل بعضها على بعض فانطلق الناس .
إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين
والأنصار وأهل بيته .

شمانة أهل مكة

فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جُناة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من العداوة .
قال أبو سفيان بن حرب : لانتهى هزيمتهم دون البحر .
وصرخ جيلةُ بن الحنبل : ألا بطل السحر اليوم !

أين أيها الناس ؟

عن العباس بن عبد المطلب : . . . كنت امرأةً جسيما . شديد الصوت ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - حين رأى مارأى من الناس : « أين
أيها الناس ؟ » . فلم أر الناس يلوون على شيء ، فقال : « يا عباس ، اصرخ
يلمعش الأنصار ، يلمعش أصحاب السَّمرَةِ » ، فأجابوا لبَّيك لبَّيك . فيذهب الرجل
ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ دِرْعَهُ فيَقْدِفُهَا في عنقه ، ويأخذ سيفه
وترسه ، ويتنحى عن بعيره ، ويخلى سبيله ، فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم .

الآن حمى الوطيس

حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس ، فاقتلوا .
فاشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه ، فنظر مجتلد^(١) القوم وهم
يجتلدون ، فقال : « الآن حمى الوطيس^(٢) » .

(١) مجتلد القوم : موقع الحرب . (٢) حمى الوطيس : حميت الحرب .

وتقاتل الناس ، فما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم ، حتى وجدوا الأسارى
مُكْتَفَيْن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وهزم الله المشركين من أهل حنين ، وأمكن رسول الله صلى الله عليه
وسلم منهم .

ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر
بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة .
وأُنزل الله عز وجل في يوم حنين (لقد نصرَكم الله في مواطن كثيرة ويوم
حنين إذا أعجبتمكم كثرتكم) إلى قوله (وذلك جزاء الكافرين) ...
ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حنين وأموالها .

حصار الطائف

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين .
ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف ف ضرب
به معسكره .

فقتل ناسٌ من أصحابه بالنبل ، وذلك أن الجنود اقتربوا من حائط الطائف ،
فكانت النبل تنالهم .

ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم .
فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل ، وضع معسكره عند مسجده الذي
بالطائف اليوم ، فحاصروهم بضعاً وعشرين ليلة .

رسول الله أول من رمى بالمنجنيق

ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ، فكان صلى الله عليه وسلم
أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يؤذن بالرحيل ، فاذن عمر بالرحيل .
وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد قتال وحصار .

أبناءؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف ، حتى نزل الجعرانة ، فبين معه من الناس ، ومعه من هوازن سبي كثير .

وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الإبل والشاء مالا يدرى ما عدته .

وأتى وفد هوازن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أهل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامن علينا من الله عليك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبناءؤكم ونساءؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ » .

فقالوا : يا رسول الله ، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ؟ ! بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا .

فقال لهم : « أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب ، فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا إنا نستشفع برسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أبنائنا ونسائنا ، فأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم » .

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم » .

فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

إسلام مالك بن عوف

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ، ما فعل ؟ فقالوا : هو بالعائف مع ثقيف .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخبروا مالكاً إنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل » .
فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من العائف ليلاً ، فجلس على فرسه ، فركضه ... فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجعرانة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل .
وأسلم فحسن إسلامه !! .
وكان ذلك من جميل سياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم للنفس .
وقال حين أسلم :

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ فِي النَّاسِ كَلَامِهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ
فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، فكان يقاتل بهم ثقيفاً ، حتى ضيق عليهم .

توزيع فيء هوازن

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين إلى أهلها ركب ، وأتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فيئاًنا من الإبل والغنم ، حتى الجأوه إلى شجرة ، فاخطفت عنه رداءه ، فقال : « ردوا ورا على رداي أيها الناس فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نَعَمًا لقسمته عليكم ، ثم ما ألفتيموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً » .

ثم قام إلى جنب بعيره ، فأخذ وبرة من سناميه بين أصبعيه ثم رفعها ، ثم قال : « أيها الناس ، والله ما لي من فيثكم ولا هذه البرة إلا الخمس » .
والْخُمْسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ ... » .

المؤلفة قلوبهم

وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من
أشراف قريش ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم .
فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ،
وأعطى حَكَم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحرث بن الحرث بن كلدة
مائة بعير ...
وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قريش وقبائل العرب
ولم يعط الأنصار شيئاً ١ .

اللهم ارحم الأنصار

لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا في قريش ،
وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد الأنصار في أنفسهم ،
حتى كثرت منهم القالة^(١) ، حتى قال قائلهم : لقي — والله — رسول الله صلى
الله عليه وسلم قومه .

فدخل عليه سعد بن عباد ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار
قد وجدوا عليك في أنفسهم . لما صنعت في هذا النىء الذى أصبت ، قسّمت في
قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب . ولم يك في هذا الحى من الأنصار
منها شيء ! .

قال : « فإين أنت من ذلك يا سعد ؟ » .

قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي ؟ .

قال : « فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة^(٢) » .

فخرج سعد ؛ فجمع الأنصار فى تلك الحظيرة .

فجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم .

(١) القالة : الكلام الردى . (٢) الحظيرة : مكان يتخذ للابل والنم .

فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار .
فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ،
ثم قال : « يا معشر الأنصار ، ما قاله ^(١) بلغتنى عنكم ؟ وجدة ^(٢) وجدتموها على
فى أنفسكم ؟ ألم أنكم ضاللاً فهداكم الله ، وعالة ^(٣) فأغناكم الله ، وأعداء فألف
الله بين قلوبكم ؟ » .

قالوا : بلى ، الله ورسوله أمّن وأفضل .

ثم قال : « ألا تحبوننى يا معشر الأنصار ؟ » .

قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ . الله ورسوله المن والأفضل .

قال صلى الله عليه وسلم : « أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم ، أتيتنا
مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ^(٤) .
أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة ^(٥) من الدنيا تألفت بها قوماً
ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ . ألا ترءون يا معشر الأنصار أن يذهب
الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد
بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً ، وسلكت
الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ،
وأبناء أبناء الأنصار » .

فبكى القوم حتى بلوا لحام بالدموع ، وقالوا : رضينا برسول الله قسماً وحظاً .

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

(١) القالة : الكلام الردى .

(٢) جدة : وم وجدة وهى العقاب .

(٣) عالة : فقراء .

(٤) فأسيناك : أمطيناك حتى جعلناك كأخذنا .

(٥) لعاعة : بقعة حراء ناعمة ، هبة بها زهرة الدنيا ونعيمها .

العودة إلى المدينة

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمراً ، يريد زيارة البيت ، وأمر ببقايا النىء فحسب بمر الظهران .

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته ، انصرف راجعاً إلى المدينة .

واستخلف عتّاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا النىء .

وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة ، فقدم المدينة في بقية ذى القعدة .

غزوة تبوك

نحن في السنة التاسعة من الهجرة .

ها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ،
ثم يأمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم .

وذلك في زمن عُسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجذب من البلاء ،
وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، وبكرهون الخروج
على الحال ، من الزمان الذي هم عليه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلما يخرج في غزوة إلا كُنِيَ بها ،
وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يقصده ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه
بينها للناس ، لبعد المسير ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يتجه إليه ، ليتأهب
الناس لذلك أهبطه ، فأمر الناس بالتعبئة ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ في سفره ، وأمر الناس بالجهاز
والانكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله ، فحمل
رجال من أهل الغنى ، واحتسبوا ، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم
ينفق أحد مثلها .

اللهم ارض عن عثمان

أنفق عثمان بن عفان في جيش العُسرة ، في غزوة تبوك ، ألف دينار
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ اَرْضَ عَنْ عُثْمَانَ ، فَإِنِّي
عَنُّهُ رَاضٍ » .

لا أجد ما أحملكم عليه

ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاؤون
وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ، فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانوا أهل حاجة ، فقال : « لا أجد ما أحملكم عليه » فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون .

وجاءه المذرّون من الأعراب فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى .

تخلف بعض المسلمين

ثم استتبّ برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره وأجمع السير . وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك ، ومُرارة بن ربيع ، وهلال بن أمية ، وأبو خيثمة ، وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضرب معسكره على نَذِيّةِ الدّاع .

فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبيّ ، فيمن تخلف من المنافقين ، وأهل الريب .

لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر ، فلما مر به غطى وجهه بثوبه ، واستعجل راحته ، ثم قال « لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم » .

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم ، شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

وقال نفر من المؤمنين لرجل معروف فثاقه كان يسير معهم : ونحك !! هل بعد هذا شيء ؟ .

قال : سحابةٌ مارة !

رحم الله أبا ذر

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : « دعوه ، فإن يك منه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » .

حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذر ، وأبطأ به بعيره ، فقال : « دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه » .

وتلوّم أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحماله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً .
ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كن أباذر » .

فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو ذر !
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ويموت وحده . ويُبْعَث وحده » .

أمان لأهل أيلة

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية . وأتاه أهل جرباء ، وأذرح فاعطوهم الجزية .

فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتاباً ، فهو عندهم ، فكتب ليوحنا « بسم الله الرحمن الرحيم . هذه أمانة من الله وعمره النبي رسول الله ليُحَنَّ بن رؤبة ، وأهل أيلة ، سفنهم وسياريتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله

وذمة محمد النبي . ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر . فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه . وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمتعوا ماء يردونه ، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر .

إنك ستجده يصيد البقر !

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : « إنك ستجده يصيد البقر » . فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ومعه امرأته .

فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ .

قال : لا والله .

قالت : فمن يترك هذه ؟ .

قال : لا أحد .

فنزل فأمر بفرسه فأمرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان .

فركب وخرجوا معه بمطارٍ دهم .

فلما خرجوا تلقَّتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ، وقتلوا أخاه .

وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل قدومه به عليه .

ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته .

مسجد الضرار

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان ، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار .

وكان أصحاب مسجد الضرار ، قد كانوا أتوه ، وهو يتجهز إلى نبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً ، لذي العلة والحاجة ، والليلة المطيرة ، والليلة الشانية ، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه .

فقال : « إني على جناح سفر وحال شغل . . . ولو قد قدِمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه » .

فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومَعْن بن عدى ، فقال : « انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه فاهدماه وحرِّقاه » .

فخرجا سريعين ، فحرِّقاه وهدماه ، وتفرقا عنه .
ونزل فيهم من القرآن ما نزل : (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين) إلى آخر القصة .

الثلاثة الذين خلفوا

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين .

وتخلف أولئك الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك وصرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لا تُكَلِّنْ أحداً من هؤلاء الثلاثة » .

وأُتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ، ويعتذرون ، فصصح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

كعب بن مالك يروي قصته

عن كعب بن مالك قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة غزاهما قط ، غير أني كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلف عنها .

وكان من خبري - حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك - أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة . . .

وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار ، وأحبَّت الظلال .

فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردت .

فلم يزل ذلك يتماذى بي ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألتحق بهم .

فغدوت بعد أن خرجوا لأتجهز . فرجعت ولم أقض شيئاً .

ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك يتماذى بي حتى أسرعوا ، وسبقني الغزو .

فهملت أن أرتحل فأدرتهم ولينني فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم يحزنتني أني لا أرى إلا رجلاً مطعوناً عليه في النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء .

ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : « ما فعل كعب بن مالك » ؟ .

فقال رجل : يا رسول الله ، حبسه بُرداه والنظر في عطفية .
فقال معاذ بن جبل : بش ما قلت ! . والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً .
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضري ،
حزني ، فجعلت أتذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطة رسول الله
صلى الله عليه وسلم غداً ؟ . وأستعين على ذلك كل ذي رأى من أهلي ، فلما
قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أشرف قادماً ، ذهب عني الباطل ،
وعرفت أني لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدق .

وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ
بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جالس للناس .
فلما فعل ذلك جاءه الخلفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة
وثمانين رجلاً ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم ، وأيمانهم ،
ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى .

حتى جئت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم الغضب ، ثم قال : « تعال » .
فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : « ما خلفك ؟ ألم تكن
ابتعت ظهرك » ؟ .

قلت : إني يا رسول الله ؛ والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لأريت
أنى سأخرج من سخطه بعذر ، لقد أعطيت جدلاً ، ولكن والله لقد علمت لن
حدثتك اليوم حديثاً كذباً لترضين عني ، وليوشكن الله أن يسخطك علي ،
ولئن حدثتك حديثاً صدقاً ، تجد علي فيه ، إني لأرجو عقابي من الله فيه . . .
ولا والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين
تخلفت عنك ! .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يتغنى الله فيك » .

فقم ، وثار معي رجال من بني سلمة ، فاتبعوني . . .

ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحد غيري ؟

قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك .

قلت : من هما ؟

قالوا : سرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية .

فذكروا لي رجلين صالحين فيهما أسوة ، فقممت حين ذكروهما لي .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لي نفسي ، والأرض ، فما هي بالأرض التي كنت أعرف .

فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ...

فأما صاحبنا فاستكانا وقعدا في بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجاسه بعد الصلاة : فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عني .

حتى إذا طال ذلك على ، من جفوة المسلمين ، مشيتُ حتى تسورت جدار بستان أبي قتادة ، وهو ابن عمي ، وأحب الناس إلي فسلمتُ عليه ، فوالله ما ردَّ علي السلام ! .

فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك الله ، هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟

فسكت ، فعدت فنأشدته ، فسكت عني ، فعدت فنأشدته ، فسكت عني ،

فعدت فنأشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ! .

فماضت عيناى ، ووثبت فـمـوـرت البستان . . فأقنا على ذلك ، حتى إذا
حضت أربعون ليلة من المحسين ، إذا رسول رسول الله يأتينى فقال : إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسرك أن تعزل امرأتك .
قلت : أطلقها أم ماذا ؟

قال : لا ، بل اعزلها ولا تقر بها .

وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك ، فقلت لاسرائى : الحقى بأهلك ، فكونى
عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض .

وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له :
يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ، ضائع لآخادم له ، أفنكره
أن أخدمه .

قال : « لا ولكن لا يقربك » .

قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة إلى ، والله مازال يبسكى منذ
كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بعره .

فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة
هلال بن أمية أن تخدمه ؟ .

قلت : والله لا استأذنه فيها ، ما أدرى ما يقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ؟ .

فلبثنا بعد ذلك عشر إيال ، فـكـل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا .

ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا على الحال
التي ذكر الله هذا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت وضاقت على نفسى . . .
إذ سمعت صوت صارخ يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر .

تفررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفرج .
وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بتوبة الله عليهما حين صلى
الفجر ، فذهب الناس يبشروننا .
وذهب نحو صاحبي يبشرون ، وركض رجل إلى فرسا ، فكان الصوت
أسرع من الفرس .
فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى ، نزع ثوبى فلكسوتهما إياه
بشارة ، ووالله ما أملك يومئذ غيرهما .
واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم .
وتلقاني الناس يبعروننى بالتوبة ، حتى دخلت المسجد ورسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس حوله الناس .
فقام إلى طلحة بن عبيد الله غيائى وهنائى ، ووالله ما قام إلى رجل من
المهاجرين غيره .
فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ووجهه يبرق من
السرور : « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » .
قلت : أمن عندك يا رسول الله ، أم من عند الله ؟ .
قال : « بل من عند الله » .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قر ،
وكما نعرف ذلك منه .
فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتى إلى الله عز وجل
أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أميك عليك بعض مالك فهو
خير لك » .

قالت : إني ممسك سمى الذى بخير .

وقالت : يا رسول الله ، إن الله قد نجاني بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن لا أحدث إلا صدقاً ماحييت ... والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاء الله فى صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلاني ، والله ما تعددت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإني لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

قال : وأنزل الله تعالى : (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا) إلى قوله (وكونوا مع الصادقين) .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط - بعد أن هدانى للإسلام - كانت أعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ..

ثقيف تدخل الإسلام !

انتمرت ثقيف بينها ، واجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من ستة رجال .

فلما دنوا من المدينة ، دخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدمهم عليه .

ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتفبوا كتبهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده .

وقد كان فيما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم العداغية وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها .

وقد كانوا سألوه - مع ترك الطاغية - أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه » .

فقالوا : يا محمد ، فسدتيكمما ، وإن كانت دناءة !..
فلما أسلخوا ، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم . أمر عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحدهم سنًا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلم القرآن .

تدمير الطاغية اللات !

فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أباسفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية . فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف ، أراد المغيرة أن يقدم أباسفيان ، فأبى ذلك أبوسفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ، وأقام أبوسفيان بماله يذى المدم .

فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمهول ، وخرج نساء ثقيف مكشوقات الوجوه ، يبكين عليها ! .

ويقول أبوسفيان والمغيرة بضربها بالنأس : واهًا لك ، آهًا لك !
وكان إسلام ثقيف وهدم اللات في رمضان سنة تسع من الهجرة .

أبو بكر يحج بالناس

ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة .

ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ، ليقم المسلمين حجهم .

نخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين .

ونزلت سورة براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم وبينهم . أن لا يصد عن البيت أحد جاءه ، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عاماً بينهم وبين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص إلى آجال مُسمَّاة .

فنزلات فيه ، وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك ، وفي قول من قال منهم .

فكشف الله تعالى فيها سراير أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سمى لنا ، ومنهم من لم يسم لنا .

ولما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله ، لو بعث بها إلى أبي بكر ؟

فقال : « لا يؤذى عني إلا رجل من أهل بيتي » .

ثم دعا علياً بن أبي طالب ، فقال له : « اخرج بهذه القصّة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بعني ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان » ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته .

نخرج علي بن أبي طالب على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمضياء حتى أدرك أبا بكر بالطريق .

فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أمير أو مأمور ؟

فقال : بل مأمور .

ثم مضوا . . فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج لله كانوا عليها في الجاهلية .

حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب ، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى ما آمنهم أو بلادهم ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة ، إلا أحداً كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فهو له إلى مدته .

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطوف بالبيت عريان .
ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عام الوفود

إنما كانت العرب ترعى بالإسلام ، أمر قريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب ، لا ينكرون ذلك . وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودوخها الإسلام ، عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، - كما قال عز وجل - أفواجاً ، يضرّبون إليه من كل وجه .

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره . إنه كان تواباً) .

أي فاحمد الله على ما أظهر من دينك .

وفد بني تميم

فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدم عليه أشراف بني تميم .

فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حُجراته : اخرج إلينا يا محمد .

فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم . فقالوا : يا محمد جئناك نفاخرك ، فأذن أشاعرنا وخطيبنا .

قال : « قد أذنت لخطيبكم فليقل » .

فلما فرغ القوم من تفاخرهم ، وفرغ حسان بن ثابت من رده عليهم ، أسلوا ، وأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم .

وفيه نزل من القرآن : (إِنْ الدِّينَ يَنْتَهِـ اذْوَكَ مِنْ وَرَاءَ الْمَجْرَاتِ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) .

يا ابن عبد المطلب !

وبعث بنو سعد بن بكر ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً منهم
يقال له ضمام بن ثعلبة .

فقدم عليه ، وأناخ بهـيره على باب المسجد ، ثم عقله ، ثم دخل المسجد
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه .
وكان ضمام رجلاً قوياً ، أشمر ، ذا ضفيرتين .
فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال :
أيكم ابن عبد المطلب ؟ .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا ابن عبد المطلب » .
قال : أحمد ؟ .

قال : « نعم » .

قال : يا ابن عبد المطلب ، إني سأثلك ومفليظاً عليك في المسألة ، فلا
تجدن بها عليّ في نفسك .

قال : « لا أجد في نفسي ، فسل عما بدا لك » .

قال : أنشدك الله إلهك ، وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك
آله بعثك إلينا رسولا ؟ .

قال : « اللهم نعم » .

قال : فأنشدك الله إلهك ، وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ،
الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ، ولا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه
الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ .

قال : « اللهم نعم » .

قال : فأشهدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك
 الله أمرك أن تصلي هذه الصلاة الخمس ؟
 قال : « اللهم نعم » .

ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصيام ، والحج
 وشرائع الإسلام كلها ، يثبته عند كل فريضة منها كما نشده في التي قبلها ،
 حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله
 وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهىني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص .
 ثم انصرف إلى بيته راجعاً . .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن صدق ذو العقيصتين ^(١)
 دخل الجنة » .

فأبى بيته ، فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه
 فكان أول ما تكلم به أن قال : بأستِ الثلاثِ والمُزَيِّ ! !
 قالوا : مائة يا ضمام ، اتق البرص ، اتق الجدام ، اتق الجنون .
 قال : والله ! إنهم والله لا يضرّان ولا ينفعان ، إن الله قد بعث
 رسولا ، وأنزل عليه كتابا استفتيكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله
 إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده
 بما أمركم به ونهايكم عنه .

فما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً ! .

قدوم الجارود

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو في وفد عبد
 القيس وكان نصرانياً .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كله ، فعرض عليه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه .

فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ، وإني تارك ديني لدينك ، أنتضمن لي ديني ؟ .

فقال : « نعم أنا ضامن لك أن قد هَذَاك الله إلى ما هو خير منه » .
فأسلم وأسلم أصحابه ، وخرج من عنده راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، ضابطاً على دينه حتى هلك .

مسيلة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة ، فيهم مسيلة الكذاب .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهوا إلى البصرة ارتد عدو الله ، وتنبأ ، وتكذب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه !
ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن :
لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسمى ! ! .
وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ! ! .

وفد طيء

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم .

فلما انتهوا إليه كلمهم ، وعرض عليهم الإسلام ، فأسلموا فحسن إسلامهم .
ثم سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخيل .
فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه ، فأصابته الحمى بالطريق فأت .

والله ما هذا ، لك !

قال عدى بن حاتم : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم - حين سمع به - مني ، أما أنا فكنت امرأ شريفاً ، وكنت نصرانياً ، فكنت في نفسي على دين ، وكنت ما - كما في قومي .

فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهتُ ، فقلت لفلان كان لي
عربي ، وكان راعياً لإبلي : أعد لي من إبلي أجلاً سمائاً فاحببهم قريباً مني
فإذا سمعت بجيش لحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ، ففعل .

ثم إنه أتاني ذات غداة فقال : ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد
خاصته الآن ، فإني قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد .
فقلت : فقرب إلي أجالي ، فقربها ، فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت :
الحق بأهل ديني من النصارى بالشام .

وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها .
وتخالفني خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيب ابنة حاتم فيمن
أصاب ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبأيا من طيء .
ثم أطلق مراحها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدمت الشام فأقامت
عندي .

فقلت لها وكانت امرأة حازمة : ماذا تريين في أمر هذا الرجل ؟
قالت : أرى والله أن تلحق به مريماً ، فإن يكن الرجل نبياً فلا باق
إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فإن تذل في عز الجن وأنت أنت .
قلت : والله إن هذا لمرأى .

فخرجت حتى أقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فدخلت
عليه وهو في مسجده ، فسألت عليه ، فقال : « مَنْ الرَّجُلُ » ؟
فقلت : عدى بن حاتم .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانطلق بي إلى بيته .
فوالله إنه لعامدني إليه ، إذ لقيته امرأة ضيفة كبيرة ، فاستوقفتني ، فوقف
لها طويلاً ، تسكلمني حاجتها .

قلت في نفسي : والله ما هذا بملك ؟

ثم مضى بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا دخل بي بيته ،
تناول وسادة محشوة ليفا ، فقفها إلى ، فقال : « اجلس على هذه » .
قلت : بل أنت فاجلس عليها .
فقال : « بل أنت » .
فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ا .
قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ؟ .
ثم قال : « يا عدي بن حاتم ، ألم تك رَكُوسِيًّا ^(١) ؟ » .
قلت : بلى .
قال : « أولم تسكن تسير في قومك بالرباع ^(٢) ؟ » .
قلت : بلى .
قال : « فإن ذلك لم يسكن محل لك في دينك » .
قلت : أجل والله .
وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجْمَل .
ثم قال : « املك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من .
حاجتهم ؟ . فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه .
واملك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ؟ . فوالله
ليوشكن أن نسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بغيرها حتى تزور هذا البيت .
لا تخاف . واملك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والباطل
في غمهم ؟ وإيم الله ليوشكن أن نسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد
فتحت عليهم » .
فأسلت ...

(١) قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .

(٢) الرباع : ربب الفتيمة .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، والله لا تكونن :
قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج
من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تخرج هذا البيت ، وإيم الله لا تكون
الثالثة : لم يفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه .

عمرو بن معد يكرب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس
من بني زُبَيْد ، فأسلم .
فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدوا .

ما بال هذا الحرير ؟

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس في وفد
كِنْدَةَ ، في ثمانين راكباً ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده
وقد مشطوا شعورهم وسرحوها ، وتكحلوا ، عليهم جُبَب ، وقد طرزوها
بالحرير .

فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « أَلَمْ تُسَلِّمُوا ؟ »
قالوا : بلى .

قال : « فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ »
فشتموه منها ، فألقوه .

ملوك حمير تبعث رسلاً

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير ، مقدمه من
تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم .

فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً كان منه : (بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبي ، إلى . . . أما بعد ، فإنه قد وقع

بنا رسولكم من قبلنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبر ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم ، وقتلتم للشركين . . . وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرُدُّ عنها ، وعليه الجزية . . . فمن أدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله . . . وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآسركم خيراً ، فإنهم منظورٌ إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم معاذ بن جبل ، أوصاه ، وعهد إليه ، ثم قال له : « يسِّر ولا تمسر ، وبشر ولا تنفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك : مائة تاح الجنة ؟ . قل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . »

فخرج معاذ حتى إذا قدم اليمن ، قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الروم يصلون فروة .

وبعث فروة بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بقلّة بيضاء .

وكان فروة عاملاً للروم على من إليهم من العرب ، وكان منزله مُمسان ، وما حولها من أرض الشام .

فلما باغ الروم ذلك من إسلامه ، طابروه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم . ثم ضربوا عنقه وصابوه على ماء لهم بفلسطين .

إسلام بنى الحرث بن كعب

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع

الآخر ، سنة عشر من الهجرة ، إلى بنى الحرث بن صعب بدجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالد حتى قام عليهم ، فبعث الركبان بضربون في كل وجه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دُعوا إليه .

فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ، ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بما جرى ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدكم .

فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفد بنى الحرث .

فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر عليهم قيس ابن الحصين .

فرجع وفد بنى الحرث إلى قومهم في بقية من شوال .

الرسول يبعث أمراء الزكاة

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان .

كتاب مسيلة الكذاب

وقد كان مسيلة بن حبيب قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من مسيلة رسول الله ، إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد ، فإني قد
اشركت في الأمر معك ، ، إن لنا نصف الأرض ، ولقریش نصف الأرض ،
ولكن قریشاً قومٌ يعتدون ! .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قرأ كتابه : « فأتقولان
أتما ؟ »

قالا : نفول كما قال !

فقال : « أما وافق لولا أن الرسل لا تنقل أضربت أعناقكما » .

ثم كتب إلى مسيلة : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى
مسيلة الكذب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإن الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .
وكان ذلك في آخر سنة عشر من الهجرة .

نَجْمَةُ الْوَدَاعِ

حجة الوداع ، أو حجة الإسلام ، أو حجة البلاغ .
ولأنما سميت حجة الوداع لأنه عليه الصلاة والسلام ودع الناس فيها ولم
يُحج بعدها .

وسميت حجة الإسلام لأنه عليه الصلاة والسلام لم يحج من المدينة غيرها .
وسميت حجة البلاغ لأنه عليه السلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً
وفعلاً ، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه عليه
السلام ، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه ، أنزل الله عز وجل عليه
وهو واقف بعرفة (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت
لكم الإسلام ديناً) .

متى خرج النبي ؟

فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة من سنة عشر من
الهجرة ، تهيأ للحج ، وأمر الناس بالتحمّل ،
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس ليال بقين من ذي القعدة ،
فقدم مكة لخمس خلون من ذي الحجة .
واستعمل على المدينة أبا دُجانة السَّاعِدِيَّ .

وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس معه الظهر بالمدينة أربعاً ،
والعصر بذى الحليفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ، ثم ركب حتى استوت
به راحلته على البيداء ، وحمد الله عز وجل وسبح ، ثم أهل بالحج وهرة .

كيف كانت تلك الحجة ؟

وإليك تفصيل الحجة الأخيرة الجامعة ، التي اختتم بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم الإسلام ، وأعان الله تعالى فيها إكمال الدين ، وإتمام النعمة

عن جابر بن عبد الله : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يمحج ، ثم أذن في الناس في العاشرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجٌ فقدم للديقة بشر كثير ، كلهم يلتمس أن يأتيهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله .

فخرجنا معه ، حتى أتينا ذا الحليفة ، فولدت أسماء بنت عميس محمداً بن أبي بكر ، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنعُ ؟ قال : « اغتسلي واستغفري^(١) بثوبٍ وأحرمي » .

فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ، ثم ركب القموء ، حتى إذا استوت به ناقتهُ على البداء ، نظرتُ إلى مدِّ بصرى ، بين يديه من راكب وماشي ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ! ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء ، عملنا به .

فأهلَّ بالتوحيد : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ ، وَالْمُلْكُ ، لَا شَرِيكَ لَكَ » .

وأهلَّ الناس ، بهذا الذي يهلون به ، فلم يرُدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم شيئاً منه ، ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلييته .

قال جابر رضي الله عنه : لسنا نفوى إلا الحج ، لسنا نعرف العمرة ، حتى إذا أتينا البيت معه ، اسقلم الرُّكنَ فرمل ثلاثاً ، ومشى أربعا ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام ، فقرأ (واتخذوا مِن مقام إبراهيم مُصَلًّى) فجعل المقام بينه وبين البيت - كان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحدٌ وقل يا أيها الكافرون . ثم رجع إلى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا .

(١) استغفري : شدي في وسطك شيئاً ، وخذي خرقه عريضة اجعلها على محل الدم ، وشدي طرفيها من قدامها ومن رائها في ذلك الشدود في وسطك .

فلما دنا من الصفا قرأ (إِنَّ الصَّفَا ، وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أبدأ بما
بدأ الله به .

فبدأ بالصفا ، فرقى عليه ، حتى رأى البيت ، فاستقبل القبلة ، فوحد
الله وكبره .

وقال : « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو
على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده
وهزم الأحزاب وحده » .

ثم دعا بين ذلك ، قال مثل هذا ثلاث مرات .

ثم نزل إلى المروة ، حتى إذا انصبّت قدماه في بطن الوادي سمى ، حتى
إذا صعدتا مشى ، حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا .

حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال : « لو أنى استقبلت من أمرى
ما استدبرت ، لم أسق المذى ، وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه
مذى فليجئ ، وليجعلها عمرة » .

فقام سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشَمٍ فقال : يا رسول الله أليامنا هذا أم لأبدٍ ؟

فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في الأخرى ، وقال :

« دخلت العمرة في الحج - مرتين - لا ، بل لأبدٍ أبدٍ » .

وقدّم على من اليمن ، بيذن النبي صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمة رضي

الله عنها ممن حلّ ولبست ثياباً صبيغاً ، راكتحلت ، فأنكر ذلك عليها .

فقالت : إن أبى أمرنى بهذا .

قال جابر : فكان على يقول بالعراق ، فذهبت إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، محرّشاً على فاطمة ، فلذى صنعت ، مستفتياً لرسول الله صلى الله

عليه وسلم فيما ذكرت عنه ، فأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها . فقال صدقت

صدقت ، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ قال : قلت : اللهم إني أهلّ بما

أهل به رسولك . قال : فإن مبعي الهدى ، فلا تحيل .
 قال جابر : فكان جماعة الهدى الذي قدم به علي من اليمن ، والذي أتى
 به النبي صلى الله عليه وسلم مائة .
 قال : نفل الناس كلهم ، وقصروا ، إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن
 كان معه هدى .

فلما كان يوم التروية ، توجهوا إلى منى ، فأهلوا بالحج .
 وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى بها الظهر ، والعصر ،
 والمغرب ، والعشاء ، والفجر .
 ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة من شعر ، تضرب
 له بنمرة .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأنشك قريش إلا أنه واقف
 عند المشعر الحرام ، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية .
 فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفه ، فوجد القبة قد
 ضربت له بنمرة ، فنزل بها .

حتى إذا زأغت الشمس أمر بالقصواء ، فرحات له ، فأتى بطن الوادي
 فخطب الناس وقال : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم
 هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي
 موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائهم ابن
 ربيعة بن الحارث ، كان مسترضيا في بني ساعد ، فقتلته هذيل . » وربما الجاهلية
 موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ، ربا عباس بن عبد المطلب ،
 فإنه موضوع كله . فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ،
 واستحلتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا
 تسكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم

رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركت فيكم ما لن أغفلوا بكمه ، إن اعتصمتم به ، كتاب الله ، وأنتم تسألون عني ، فما أنتم فاعلون ؟ » .
قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت .
فقال بأصبعه السبابة ، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : « اللهم اشهد » ثلاث مرات .

ثم أذن ، ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً .
ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات ، وجعل حبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة .
فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلاً ، حتى غاب القرص .

وأردف أسامة خلفه ، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شق للقصواء الزمام ، حتى إن رأسها ليصيب مؤرك راحته ، ويقول بيده اليمنى :
« أيها الناس ، السكينة السكينة » .

كلما أتى حبلاً من الحبال^(١) ، أرخى لها قليلاً ، حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد ، وإقامتين ، ولم يصب بينهما شيئاً .
ثم اضطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر حين تبين له الصبح ، بأذان وإقامة .
ثم ركب القصواء ، حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعاه وكبره وهله ووحده .

فلم يزل واقفاً حتى أسفر جسداً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس ، وكان رجلاً حسن الشعر ، أبيض وسيماً ، فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظمن^(٢) يجرين ، فطفق الفضل ينظر إليهن ،

(١) جمع حبل : وهو التل من الرمل . (٢) ظمن . نساء .

فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل ، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ، فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل ، بصرف وجهه من الشق الآخر ينظر .

حتى أتى بطن مُحَسَّرٍ ، فحراك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى ، التي تخرج على الجرة الكبرى ، حتى أتى الجرة التي عند الشجرة ، فرماها بسبع حصيات ، يسكب مع كل حصاة منها ، مثل حصي الخذف .

رمى من بطن الوادي ، ثم انصرف إلى المنجر ، ففجر ثلاثا وستين بيده ثم أعطى عليا ففجر ماغير^(١) ، وأشركه في هدية ، ثم أمر من كل بدنه ببضعة ، فجعلت في قدر فطبخت ، فأكلا من اللحم ، وشربا من مرقها .

ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأفاض إلى البيت ، فصلى بمكة الظلم — ر —

فأتى بنى عبد المطلب يسقون على زمزم ، فقال : انزعوا بنى عبد المطلب فلولاً أن يغلبكم الناس على سقايتهكم ، انزعته معكم .

فذاولوه دلوأ ، فشرب منه . (رواه مسلم)

ذلك هو الحديث الرائع الذي يفصل حجة الوداع تفصيلا جميلا طويلا .
واقعد نقلناه إليك بكامله ، لينة لك بدوره إلى تلك الأيام الجميلة ، التي قضاه صلى الله عليه وسلم حاجاً ، ومعه أصحابه ، يقولون كما يقول ، ويفعلون كما يفعل .

فتتلاً من ذلك أمامك صورة حية ناطقة متحركة ، تجري أمام ناظريك عن عظمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره كله .

اللهم اشهد

قالوا : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حججه ، فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فإنني لا أدري لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رهوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربا .

وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله .

وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع .

وإن أول دماءكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل ، فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية .
أما بعد : أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يقطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس ، إن النسيء زيادة في الكفر ، بضل به الذين كفروا ، يحلون به عاماً ويحرمونه عاماً ، أيواظنوا عدة ما حرم الله ، فيجعلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله .

وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليه ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

أما بعد : أيها الناس ، فإن لكم على نساءكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً
لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تسكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة
مبينه ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن
ضرباً غير مُبرِّح ، فإن اتتهن فلمن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا
بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان^(١) لا بأسكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما
أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس
قولي ، فإنني قد بلغت .

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيننا ، كتاب
الله وسنة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه .
تَعْلَمُونَ أن كل مسلم أخ المسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ
من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم . اللهم
هل بلغت .

فقال الناس : اللهم نعم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اشهد » .
فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ، وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم
ما فرض الله عليهم من حجهم من الموقف ، ورَمَى الجمار ، وطواف البيت ،
وما أحل لهم من حجهم وما حرم عليهم .
فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يحج بعدها .

العودة إلى المدينة

ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة
والحرم وصفراً .

بعث أسامة بن زيد إلى فلسطين

وخرب على الناس بعتاً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة
مولاه ، وأمره أن يوطئ الخليل تخوم البلقاء ، والداروم ، من أرض
فلسطين .

فتجهز الناس ، وخرج مع أسامة بن زيد المهاجرون والأصهار .
وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الى الرفيق الأعلى

فمن في سنة إحدى عشرة من الهجرة .
فبينما الناس على ذلك ، ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه ،
الذي قبضه الله فيه ، في ليال بقين من صفر .
فكان أول ما ابتدئ به من ذلك ، أنه خرج إلى بقيع النرقد ، من
جوف الليل ، فاستغفر لهم ثم رجع إلى أهله .
فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك .

لقد اخترت لقاء ربي

عن أبي موهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بشئ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : « يا أبا موهبة ، إني
قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معي » .
فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال : « السلام عليكم يا أهل
المقابر ، إني أنتم ما أصبحتم فيه ، مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن
كقطع الليل المظلم ، يقتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى » .
ثم أقبل على فقال : « يا أبا موهبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا
والخلافة فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة » .
فقلت : بأبي أنت وأمي ، نخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة
قال : « لا ، والله يا أبا موهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة » .
ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف .
فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي قبضه الله فيه .

وارأساه

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي ، وأنا

أقول : وارأساه ، فقال : « بل أنا والله يا عائشة وارأساه » .
 قالت : ثم قال : « وما خرك لو مت قبلي ، فقامت عليك وكفنتك
 وصليت عليك ودفنتك ؟ » .

قالت : قالت : والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي
 فأعترست فيه ببعض نسائك .

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 وتنام عليه مرضه وهو يدور على نسائه ، حتى اشتد به وهو في بيت
 ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذن له .

المرض يشتد

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : فخرج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بمشي بين رجلين من أهله ، أحدهما الفضل بن عباس ، ورجل
 آخر ^(١) ، عاصباً رأسه ، نخط قدماه ، حتى دخل بيتي .

ثم غيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجهه ، فقال :
 « هَرَبُوا عَلَيَّ سَبْعَ قَرَبٍ مِنْ آبَارِ شَتَّى ، حَتَّى أُخْرَجَ إِلَى النَّاسِ ،
 فَأَعْمَدَ إِلَيْهِمْ » .

فأقعدها في مخضبٍ لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا الماء حتى طفق يقول :
 « حَسْبُكُمْ حَسْبُكُمْ » .

ينعى نفسه

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه ، حتى جلس على المنبر .
 ثم كان أول ما تكلم به ، أنه صلى على أصحاب أحدٍ ، واستغفر لهم ،
 فأكثر الصلاة عليهم .

(١) هو علي بن أبي طالب .

ثم قال : « إن عبداً من عباد الله ، خيره الله بين الدنيا والآخرة ، وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله » .

فهممها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يريد ، فبكى ، وقال : بل نحن نقديك بأنفسنا وأبنائنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على رسلك يا أبا بكر » .
ثم قال : « انظروا هذه الأبواب اللانظرة ^(١) في المسجد فسدوها ، إلا بيت أبي بكر ، فإنى لا أعلم أحداً ، كان أفضل في الصحبة عندي يدا منه » .
ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ في كلامه هذا « فإنى لو كنت معخذاً من العباد خليلاً ، لآخذتُ أبا بكر خليلاً ، ولسكن صحبة ، وإخاء إيمان ، حتى يجمع الله بيننا عنده » .
أنفذوا بعث أسامة

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس في بعث أسامة ، وهو في مرضه .

فخرج عاصباً رأسه ، حتى جلس على المنبر .
وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمر غلاماً حدثاً ، على جملة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : « يا أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلمعمرى لئن قائم في إمارته ، لقد قلتُم في إمارة أبيه من قبله ، وإنه خلّيقٌ للإمارة ، وإن كان أبوه خلّيقاً لها » .

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكشف الناس في جهازهم ، واشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه .

فخرج أسامة ، وخرج بجيشه معه ، حتى نزلوا الجرف من المدينة على فرسخ .

(١) اللانظرة : النافذة إليه .

فصرب به معسكره ، وتنام^١ إليه الناس .
ونقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما
الله قاض في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

استوصوا بالأنصار خيراً

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال — يوم صلى واستغفر
لأصحاب أحد ، وذكر من أسرم ماذكر ، مع مقالته يومئذ — « يا مدثر
المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيراً ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على
هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عتيبي للتي أويت إليهم — ، فأحسنوا إلى محسنهم
وتجاوزوا عن مسيئتهم » .

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتنام^٢ به مرضه
حتى غمره .

من صنع هذا بي ؟

فاجتمع إليه نساء من نسائه ، أم سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء
المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس .

وعنده العباس عمه ، فأجمعوا على أن يلدوه^(١) ، وقال العباس : لألدنه .
فلدوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صنع هذا بي ؟ »
قالوا : يا رسول الله عمك .

قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض . وأشار نحو
أرض الحبشة .

قال : « ولم فعلتم ذلك ؟ »

فقال عمه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات جنب .

(١) لدت المريض : إذا جعلت الدواء في شق فمه .

فقال : « إن ذلك لءالا ما كان الله ليقتضى به ، لا يبق في البيت أحد إلا لئلا عى » .

فلقد لدت ميمونة ، وإنها لصاعمة ، لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لم بما صنعوا به .

يدعو بالإشارة

عن أسامة بن زيد ، لما نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هبطت ، وهبط الناس معى إلى المدينة .

فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أضمت ، فلا تكلم . فجعل يرفع يده إلى السماء ، ثم يضمها على ، فأعرف أنه يدعو لى .

إذا والله لا يختارنا !

عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كثيراً ما أسممه يقول : « إن الله لم يقبض نبياً حتى يُخبره » .

قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان آخر كلمة سمعتها منه وهو يقول : « بل الرفيق الأعلى من الجنة » .

قالت : قلت : إذا والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا « إن نبياً لم يقبض حتى يُخبر » .

وعن عائشة أيضاً قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من نبي إلا تقبض نفسه ، ثم يرى الثواب ، ثم ترد إليه ، فيخير بين أن ترد إليه ، وبين أن يلحق » .

فكذت قد حفظت ذلك منه ، فإني لمسدت به إلى صدرى ، فنظرت إليه حين مات عنقه ، فقلت : قد قضى ، فعرفت الذى قال .

فنظرت إليه حين ارتفع فنظر ، قلت : إذا والله لا يختارنا .

فقال : مع الرفيق الأعلى ، في الجنة ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

مروا أبا بكر فليصل بالناس

عن عائشة قالت : لما استعزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مروا
أبا بكر فليصل بالناس » .

قلت : يا نبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء .
إذا قرأ القرآن ؟

قال : « مروه فليصل بالناس » .

قالت : فعدت بمثل قولي .

فقال : « إن كن صواحب يوسف ، فروه فليصل بالناس » .

قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يُعرف ذلك من
أبي بكر .

وعرفت أن الناس لا يحبون رجلاً قام مقامه أبداً ، وأن الناس سيبتشاهمون
به في كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر .

فاين أبو بكر ؟

عن عبد الله بن زَمْعَةَ قال : لما استعزَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم
— وأنا عنده في نفر من المسلمين — دعاه بلال إلى الصلاة .

فقال : « مروا من يصلي بالناس » .

فخرجت ، فإذا عمر في الناس ، وكان أبو بكر غائباً .

فقلت : قم يا عمر فصل بالناس .

فقام : فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان عمر
رجلاً مُجْهَرًا^(١) .

(١) مجهرًا : عال الصوت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإين أبو بكر ؟ . يابى الله ذلك
والمسلمون ، يابى الله ذلك والمسلمون » .

فبعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى حر تلك الصلاة ، فعلى بالناس .
قال لى عمر : ويحك !! ماذا صنعت بى يا ابن زمعة ؟ . والله ما ظننت
حين أمرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ؟ . ولولا ذلك
ما صليت بالناس .

قلت : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، واسكنى حين
لم أراها بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

النظرة الأخيرة

عن أنس بن مالك : لما كان يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله صلى
الله عليه وسلم ، نخرج إلى الداس وهم يصلون الصبح .
فرفع الستر ، وفتح الباب ، نخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام
على باب عائشة .

فكاد المسلمون يفتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين
راوه ، فرحاً به ، وتفرّجوا .

فأشار إليهم أن انبتوا على صلاتكم .

وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم .
وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة .

ثم رجع ، وانصرف الناس ، يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
أفرق^(١) ، من وجهه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسَّحَر^(٢) .

(١) أفرق من وجهه : أبل من مرضه وبرىء منه .

(٢) موضع كان لأبى بكر فيه مال ، وكان ينزله بأهله .

يُصَلِّي وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ !!

لَمَّا كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، طَائِبًا رَأْسَهُ إِلَى الصَّبَاحِ ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ .

فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفَرَّجَ النَّاسُ ، فَعَرَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَهْتَدُوا ذَلِكَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ عَنْ مَهْلَاهُ .
فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ظَهْرِهِ ، وَقَالَ : « صَلِّ بِالنَّاسِ » .
وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِهِ ، فَصَلَّى قَاعِدًا عَنْ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ .

فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَكَلَّمَهُمْ رَافِعًا صَوْتَهُ ، حَتَّى خَرَجَ صَوْتُهُ مِنْ بَابِ الْمَجْدِ يَقُولُ : « أَيُّهَا النَّاسُ ، سُرِّرَتِ النَّارُ ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ لِلظُّلُمِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا تَمْسُكُونَ عَلَى بَشِيءٍ ، إِنِّي لَمْ أَحِلَّ إِلَّا مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ ، وَلَمْ أَحْرَمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ » .

فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ كَلَامِهِ ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنِّي أَرَاكَ قَدْ أَصْبَحْتَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ، كَأَنْ تُحِبَّ ، وَالْيَوْمَ يَوْمَ بِنْتَ خَارِجَةً أَفْأَنِيهَا ؟

قَالَ : « نَعَمْ » .

ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَهْلِهِ بِالشُّنْحِ .

بِلِ الرِّفِيقِ الْأَعْلَى

فَتَوَقَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اشْتَدَّ الْعُضَاءُ مِنْ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ، لِنِثْقِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، لِتَمَامِ عَشْرِ سَنِينَ مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ .
عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : رَجِمَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ،

حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجرى .
فدخل على رجل من آل أبى بكر ، وفي يده سواك أخضر .
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه في يده ، نظراً عرفت أنه يريد .
فقلت : يا رسول الله ، أتعجب أن أعطيك هذا السواك ؟ .
قال : « نعم » .
قلت : فأخذته فوضعتُه حتى ليئنتُه ، ثم أعطيتُه إياه .
فاستنَّ به كأشد ما رأيتُه يستن بسواك قط ، ثم وضعه .
ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم بثقل في حجرى ، فذهبت أنظر
في وجهه ، فإذا بعصره قد شخص ، وهو يقول : « بل الرفيق الأعلى من الجنة » .
فقلت : خُيِّرْتَ فاخترت ، والذي بعثك بالحق .

وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .
تقول عائشة : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري^(١)
وتحزى^(٢) وفي دوائى^(٣) ، لم أظلم فيه أحداً . فن سَفَمَى وحدانة سفى ، أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجرى ، ثم وضعت رأسه على
وسادة ، وقت ألْدَم^(٤) مع النساء ، وأضرب وجهى .

والله ما مات !!

عن أبى هريرة :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب فقال : إن رجالاً
من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وإن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه ، كما ذهب موسى

(١) السحر : من الرثة إلى الخلقوم . (٢) النحر . أعلى الصدر .

(٣) في دولتي : في نوبتي التي كانت لي . (٤) ألْدَم : أخرب سحزى .

ابن همران ، فقد غاب عن قومه ، أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات ، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليطمن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

أبو بكر يقبل رسول الله

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد — حين بلغه الخبر — وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم مغطى الوجه في ناحية البيت ، عليه بُرْدٌ حَبْرَةٌ^(١) .

فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثم أقبل عليه فقبَّله ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها مودة أبدا .
ثم ردَّ البرد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس .

وما محمد إلا رسول

فقال : على رسلك يا عمر ، أنصت . . فأبى إلا أن يكلم .
فلما رآه أبو بكر لا ينصت ، أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه ، أقبلوا عليه ، وتركوا عمر .

فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية :

(١) نوع من ثياب اليمن .

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فإن بغر الله شينا وسيجزى الله الشاكرين) .

فوالله لكان الناس لم يملوا أن هذه الآية نزلت ، حتى تلاها أبو بكر يومئذ .

وأخذها الناس عن أبي بكر ، فلما هي في أفواههم .

قال أبو هريرة : قال عمر : فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ففكرت^(١) حتى وقعت إلى الأرض ، ما نعلماني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

عمر يروي قصة اختيار أبي بكر

قال عمر : إنه كان من خبرنا — حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم — أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، ونخاف عنا على بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهم .

واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : اطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار .

فانطلقنا نؤمهم . . . حتى أتيناكم في سقيفة بني ساعدة . . .

فلما جلسنا أشهد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فبعض أنصار الله . وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط متاع ، وقد دفت^(٢) دافئة من قومكم .

قال عمر : وإذا هم يريدون أن يحاذرونا من أصلنا ، وينصبونا الأمر .

(١) فكرت : تخيرت ودعشت .

(٢) الدافئة : الجماعة تأتي من البداية إلى الحاضرة .

فلما سكنت أردت أن أتكلم ، وقد زوّرت^(١) في نفسي مقالة قد أجبعتني ،
أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر . .

فقال أبو بكر : على رِسْلِكَ يا عمر ، فسكرت أن أغضبه .

فتكلم ، وهو كان أعلم مني وأوفر ، فوافقه ما ترك من كلمة أجبعتني من
تزويري إلا قالمها في بديهة ، أو مثلها ، أو أفضل ، حتى سكنت ، قال : أما
ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا
الحق من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين
الرجلين ، فبايعوا أبيهما شتم .

وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا :

ولم أكره شيئا مما قال عـيرها كان والله أن أقدم فتضرب عنقي
لا يقربني ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

فقال لأهل من الأنصار : ماذا أمر ، ومنكم أمير يا معشر قريش .

قال : فكثر اللفظ ، وارتفعت الأصوات ، حتى تحوّفت الاختلاف .

فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ثم

بايعه الأنصار . . .

عمر يعتذر

عن أنس بن مالك : لما بويع أبو بكر في السقيفة ، وكان الفسد ، جلس

أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إني قد كنت

قلت لكم بالأمر مقالة ما كانت ، وما وجدتني في كتاب الله ، ولا كانت عهدا

عهدته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنني قد كنت أرى أن رسول

(١) زورت : أعدت وحملت .

الله صلى الله عليه وسلم سيُدَبَّرُ أمرنا . . . يكون آخرنا .
 وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله صلى الله عليه
 وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له .
 وإن الله قد جمع أسمى على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، ثلثي اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه .
 فبايع الناس أبا بكر ببيعة العامة ، بعدبيعة السقيفة .

لست بخيركم

ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : أما بعد
 أيها الناس ؛ فإنني قد ولّيت عليكم ، ولست بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينوني ،
 وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم
 قوى عندي حتى أريح عنهم حق إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى
 آخذ الحق منه إن شاء الله .

لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل .
 ولا تشيعُ الفاحشة في قوم قط إلا عمهمُ الله بالبلاء .
 أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة
 لي عليكم .

قوموا إلى صلاتكم بحمك الله .

إعداد الجسد الشريف

فلما بويح أبو بكر رضى الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى
 عليه وسلم يوم الثلاثاء .

فأسند على بن أبي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره ، وكان
 العباس والفضل وقثم يلقبونه معه .

وكان أسامة بن زيد ، وشقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء .
وعلى نفسه ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يذلكه من ورائه ،
لا ينفذ بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

على يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حياً وميتاً .
ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت .
فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب .
صحاريتين^(١) ، وبرد حبرة ، أدرج فيه إدراجاً .

الصلاة على رسول الله

فلما فرغ من جهـاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع
على سريره في بيته .

وقد كان للمسلمون اختلافوا في دفنه ، فقال قائل : ندفنه في مسجده .
وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه .

فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض
نبي إلا دُفن حيث يُقبض » .

فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي عليه ، فخر
له تحته .

ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يصلون عليه أرسالاً
دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل
الصبيان .

ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

(١) نسبة إلى صحار ، وهي بلدة من بلاد اليمن .

في ليلة الأربعاء

عن عائشة قالت : ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء .

وكان الذين نزلوا في قمبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علي بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أوس بن خولى لعل بن أبي طالب : يا علي أنشدك بالله ، وحفظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال له : انزل . فنزل مع القوم .

وقد كان مولاة شقران - حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته وبني عليه - قد أخذت قطعة ، قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها ، فدفنها في القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً . قال ابن عباس : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فسكت بمكة ثلاث عشرة ، ثم أمر بالمجرة ، فهاجر عشر سنين ، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين .

(تم)

خاتمة

.. ما إن فرغت من تأليف هذا الكتاب ، حتى وقع في يدي عدد من
إحدى المجلات الشهرية ، التي تصدر في القاهرة ، ووجدت فيه مقالا ، كأنما
كان مهي على ميعاد .

قرأت فيه مقالا بعنوان : « السيرة النبوية لابن هشام » ...

قال في المقال :

« تتمثل حيوية الفكر الإسلامي ونشاطه في تلك الثروة الضخمة من
الكتب التي أخذ المؤلفون الإسلاميون يكتبونها منذ أن بدأت نهضتهم العقلية
في الازدهار في القرن الثاني الهجري ، والتي سابت ركب الحضارة طوال
العصور ، وخلدت آثار العقيدة الإسلامية في الفقه والتشريع ، واللغة ،
والأدب ، والتاريخ والرحلات والفلسفة والطب ، وسائر فروع العلم التي
عرفتها الإنسانية إلى اليوم .

وتتميز المكتبة الإسلامية بميزة لم تتوفر لسواها من المكتبات : ذلك أنها
تستمد إلهامها ونموذجها من كتاب سماوي خالد ، ضرب لها المثل في البيان ،
وفتح أمام أصحابها آفاق المعرفة ، ووجههم إلى الدرس والبحث ، فما هو إلا أن
استقرت الأوضاع في عالمهم الواسع الجديد حتى عكفوا على دراساتهم في شغف
وجهد ، وحتى سلكوا سبل التخصص في ميادينها ، ونظموا طرق جمع
المعلومات فيها ، وأخذوا أنفسهم بشيء من النقد لما يجمعون ، فلم يفته الزمن
الإنساني الهجري حتى كانت نهضتهم التأليفية قد بدأت تؤتي ثمارها في صورة
كتب لا تزال - وسعظل - عماد الباحثين في الدراسات الإسلامية والعربية .

ومن الثمار الأولى لتلك النهضة كتاب « السيرة النبوية » الذي نعالجه اليوم تيمناً بصاحب « السيرة » صلوات الله وسلامه عليه ، ومقابلة لتاريخ الزمى المكتبة الإسلامية ، واعتزازاً بكتاب إسلامي قديم شاركت « مصر » في فضل تأليفه . فالكتاب يمثل جهود عالين من السابقين في تاريخ « المغازي » والسير : أحدهما ، محمد بن إسحاق المدني الذي توفي في منتصف القرن الثاني للهجرة ، والثاني عبد الملك بن هشام الماعري المصري الذي توفي بمصر في أوائل القرن الثالث ، فأما العالم الأول فقد جمع مادة السيرة من الأخبار والروايات التي كان يتناقلها مجتمع « المدينة » ويحفظها رواها ويحدثوها ، وأضاف إلى ذلك ما جمعه أثناء زيارته « للاسكندرية » وسماعه من أهل الحديث بها ، وأما العالم الثاني - وهو ابن هشام - فقد أحمل فيها يد التنظيم والتلخيص والنقد : فانتصر من مادتها الواسعة على ما كان خاصاً بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ما كان منصباً على سيرته وحياته وغزواته ، تاركاً بعض ما أورده ابن إسحاق مما ليس للرسول فيه ذكر . ولانزل فيه من القرآن شيء ولادعت إليه ضرورة التفسير والاستشهاد . مهملاً بعض أشعار رواها ابن إسحاق وشك هو في صحة نسبتها إلى أصحابها ، مستقصياً بعض التفاصيل مما جمعه أثناء إقامته في مصر .

وقد أبى أهل المغرب الإسلامي إلا أن يأخذوا بنصيدهم من خدمة سيرة الرسول ، فانتدب عالم ضريز من علمائهم - هو « عبد الرحمن السهيلي » الذي عاش في القرن السادس الهجري - لكتابة شرح على سيرة ابن هشام سماه « الروض الآنف » وجمع مادته كما يقول من أكثر من مائة وعشرين مرجعاً .

فالكتاب الذي بين أيدينا إذن يمثل محصول أربع مراحل في التاريخ

لسيرة الرسول صلوات الله عليه ، الأولى مرحلة السابقين الأولين من حفاظ السيرة ومدوني صحفها من أمثال « عروة بن الزبير » و « ابن شهاب الزهري » والثانية : مرحلة الجمع الشامل لأخبار السيرة وكل ما يتصل بها من تاريخ وقصص وأدب على يد « ابن إسحاق » ، والثالثة : مرحلة التنظيم والتلخيص على يد « ابن هشام » وتلك المراحل الثلاث تشهد بما كان لفكرى القرنين الأولين من الهجرة في المدينة ومكة والبصرة ومصر من عناية بسيرة رسولهم وجمع مادتها وتمحيصها ووضعها في مكانها من حقائق التاريخ الإسلامى .

أما المرحلة الرابعة فهي مرحلة الشرح والتفسير التى ذهب بفضلها أهل المغرب الإسلامى . هذه الجهود المتتابعة أنتمت مرجعاً هاماً فى سيرة الرسول اعتمد عليه المؤرخون الإسلاميون خلال المعور ، كما اعتمد عليه كتابنا المحدثون من أمثال « طه حسين » و « المقاد » و « هيكل » و « الحكيم » فى تاريخهم لحياة الرسول أو تحليلهم لمبقراته ، أو عرضهم لسيرته فى قالب قصصى جديد . وقد أدرك الغربيون قيمة هذا الكتاب منذ القرن الماضى فترجموه إلى بعض لغاتهم كالألمانية ، وطبعوه مراراً وأضافوا إليه النمارس والتعليقات ويقوم الآن مستشرق إنجليزى معروف بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية وقد أوشك على الانتهاء من مهمته .

ومنذ عشرين سنة مضت قام ثلاثة من الباحثين المصريين بإعادة طبع السيرة النبوية لابن هشام ، فحققوها وقابلوا بين نسخها المطبوعة والمخطوطة وضبطوها ووضعوا فهارسها ، وبذلك سهّلوا على القارىء العربى الحديث دراستها والرجوع إليها .

الكتاب يبدأ كما قلنا بإيراد نسب الرسول منذ « إسماعيل » ميرزا صلة مصر بهذا النسب من طريق « هاجر » أم إسماعيل التى نشأت فى « دانا مصر »

ومن طريق « مارية » التي تسراها الرسول فولدت له ابنه إبراهيم ، والمروى أنها نشأت في صعيد مصر ، ويذكر الكتاب بعض الأحداث والظواهر المشهورة في تاريخ الجاهلية كقصة سد مأرب ، واعتناق (تبيع) ملك اليمن النصرانية ، وقصة أصحاب الفيل وغيرها مما وردت إلى الكثير منه اشعارات في القرآن ، وهو يفصل في بعض هذه القصص تفصيلاً أقدم منه من جاء بعده من المفسرين والمؤرخين : كالذي فعل في قصة « الفيل » إذ بدأها من غلبة أبرهة على اليمن ، وبناءه الكنيسة التي أراد أن يصرف إليها حج العرب ، وعزمه على هدم الكعبة بيت الله الحرام ، وما كان بينه وبين عبد المطلب من لقاء وحديث ، وما وقع لأبرهة حين هبأ فيه وعبأ جيشه ، وتهيأ لدخول مكة وما حدث لجيش المغير ، إذ أرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلدان ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار دقاق يحملها ، لا يصيب منهم أحداً إلا هلك : فخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا وراحوا يتساقطون هنا وهناك وأصيب « أبرهة » في جسده فأخذ يفتثر . ويذكر « ابن إسحاق » هنا أول مارؤب الحصبة والجدرى بأرض العرب كان ذلك العام .

فلما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم كان محمداً على قريش من نعمته عليهم وفضله مارد عنهم من أمر الحبشة فأنزل في ذلك سورة الفيل ويستمر الكتاب في تفسير ألفاظ السورة .

وبروى ابن إسحاق في آخر هذه القصة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أميين مقعدين يستطمان الناس ثم يورد نماذج مما قيل من الشعر في هذه الحوادث بعضه لأمية بن أبي الصلت وبعضه لشعراء إسلاميين كالفرزدق وابن قيس .

هذه التفاصيل لها أساسها التاريخي ، ومن الراجح أن القصص قد اختلط فيها بالتحسينات ، ولكنها على أية حال تزيد الباحث في التفسير وفي الأدب وتعلى صورة من أحداث البيئة العربية في المرحلة التي ولد فيها الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ثم يستمر بنا الكتاب في تتبع النسب النبوي من « معد » إلى « محمد » ويعطينا معالم من نشأته ، وخروجه مع عمه أبي طالب في تجارته إلى الشام ، وما كان لهذا الركب من أمر مع « بحيرا » الراهب ، وما نصح به الراهب أبا طالب إذ قال له « ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود . فوالله لئن راوه وعرفوا منه ما عرفت ليعفنه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده » ، ويتناول الكتاب الأحداث التي تنصل بحياة الرسول قبل بعثته ، كحرب « الفجار » التي اشتبك فيها وهو في حوالى الخامسة عشرة من عمره . ثم يقص علينا أمر خروجه في تجارة خديجة إلى الشام وزواجه منها وهو في سن الخامسة والعشرين ، وحديث « خديجة » بشأنه مع « ورقة بن نوفل » وبناء الكعبة واختلاف قريش فيمن يضع الحجر الأسود ، وتحكيمهم محمداً في هذا ، وما كانت عليه الكعبة قبل البعثة في مظهرها ومساحتها ومصورتها ، وما سبق البعثة من أمور وظواهر كانت كالإطلائع لها ، وإلى بعضها أشار القرآن الكريم . أما سيرة الرسول من أول البعثة فالكتاب يتبع منهاجاً مفصلاً جاريًا على نسق الحوادث والفتنات وتتابعها وما نزل في كل حادثة من قرآن ، وما قيل فيها من شعر ، ومن اشترك فيها من الأشخاص وما أثر عن الرسول فيها من قول أو عمل ، وما صاحبها من التشريع والأحكام ، وما لا يسها من العمود والمواثيق ، وما سجل الرسول وأصحابه وأنصاره فيها من ضروب البسالة والإقدام ، وما امتحن به المسلمون أحياناً من بلاء أو هزيمة ، وما وضع الرسول من الأسس والقواعد للدولة الإسلامية

الجديدة ، وما رسم لها من الخطط المستقبلية ، التي تولى تنفيذها خلفاؤه من بعده . وهكذا نجد أنفسنا أمام سجل واف لحياة تلك الشخصية العظيمة ، التي غيرت وجه التاريخ ، وأخرجت للعالم حضارة إنسانية راقية تقوم على دعائم العقيدة والمعرفة والفضيلة والأخوة ، وهذا السجل يستمد مادته من مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو القرآن ، ومن الأخبار التاريخية والقصصية والأدبية التي حفظها الرواة وتناقلوها ، حتى أوصلوها إلى عهد التدوين والتأليف ، وكتاب السيرة النبوية على هذه الصورة بهيئة — في نظري — أداة من أدوات التربية الإسلامية الداججة التي تنفع الشباب في دور فتوتهم ورشدهم ، فهي تصالهم بحياة الرسول في طريقة محبة تجمع القرآن والتاريخ والنصص والأدب . وكل ما تحتاجه أن يقوم باحث حديث فيعرضها من جديد عرضا منظما ، يناسب تفكير العصر الحاضر ، ويربط بين بعض هذه للنواحي والبعض الآخر ، ويمدها لأن تكون غذاء صالحا لعاطفة الشباب الدينية ومعارفه التاريخية وذوقه الأدبي .



... هذا هو المقال ، ويشاء الله سبحانه أن ينشر في الوقت الذي كنت قد فرغت فيه من تأليف الكتاب .

إن الكاتب يعطى تقريره فيقول : « وكتاب السيرة النبوية على هذه الصورة بهيئة — في نظري — أداة من أدوات التربية الإسلامية الداججة ، التي تنفع الشباب في دور فتوتهم ورشدهم ، فهي تصالهم بحياة الرسول ، في طريقة محبة ، تجمع بين القرآن ، والتاريخ ، والنصص ، والأدب . . . » ثم يعضي فيقول : « وكل ما تحتاجه أن يقوم باحث - حديث - فيعرضها

من جديد ، عرضاً منغماً يناسب تفكير العصر الحاضر ، ويربط بين بعض هذه الدواحي والبعض الآخر ، ويمدها لأن تكون غذاء صالحاً ، لماطفة الشباب الديني ، ومعارفة النار . وذوقه الأدبي .

هذا هو تقرير الدكتور خلف الله عن سيرة ابن هشام ، وهذه هي آماله التي يأمل أن يحققها له باحث حديث .

وهو نفس مادار في نفسى ، حين قرأت سيرة ابن هشام . . سألت نفسى : لماذا لا أقوم بإخراج هذا الكتاب النفيس الكريم ، لإخراجاً يناسب عقول عصر القضاء ؟ .

لماذا لا أعرضها عرضاً حديثاً ، لطيفاً ، بعيداً عن الحشو والاسترسال ؟
لماذا لا بطلع شبابنا ، على حياة رسول الله ، الحقيقية البعيدة عن الأهواء ؟
كيف يحال بين جيلنا الصاعد ، وبين رسول الله ؟

تالله لأفمن على الناس قصة رسول الله ، ببضاء لا عوج فيها . . .
وكنت أشعر وأنا أقوم بذلك العمل ، أن كل إنسان في هذا العالم يشعر بنفس الشعور الذى أعانيه .

كنت أحس أن من الإجرام أن تظل تلك الكنوز النوالى ، مطمورة ، مقبورة ، لا يصل إليها إلا أهل البحث والنقص . . . وإلا من له صبر على مصاحبة الكتب القديمة .

إن ذلك الدور يجب أن يخرج إلى الناس ، ليشتع إشعاعاته العالية ، على قلوبهم ، وعقولهم ، وكيانهم .

فلعل أكون قد حققت آمالك يادكتور ، وحققت آمال الجيل الصاعد ، بإخراج الكتاب على هذه الصورة ، التى تجمع بين جلال القديم ، وجمال الحديث .

ولعل الكتاب بوصفه الذى بين أيدينا ، يسكون فيه ما يرضى نفوسنا
جميعاً رجالاً ونساء . . . من صدق فى الأداء وفن فى التعبير ؟ .

وأنا أشعر عن يقين أن الكتاب جاء سهلاً ، ميسوراً ، جميلاً . .
وماذا وراء الجمال ، والسهولة ، والتيسير ؟ .

فالحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شيء لا يستطيع الإحاطة به علماً
وكيف يمكن لبشر أن يحيط بمحمد صلى الله عليه وسلم ؟ .
كيف . . والناس دونه فى كل شيء ؟ .

دونه فى العلم ، فى الخلق ، فى الصفات ، فى أسلوب الحياة ، فى الفهم عن
الله ، فى الاستقامة على أمر الله ، فى كل شيء نحن دون رسول الله . . .
فكيف يتكلم الأدنى عن الأعلى ، أو كيف يتكلم الجاهل عن العالم ،
أو كيف يرى الأعمى شعاع النور ؟ .

واسكن الذى ينبغى أن يتقرر دائماً ، أن عظمة إنسان ما ، لا تمنع الناس
أن يقولوا قولهم فيه ، ولو كانوا هم دونه مقاماً .

ولو أنا وقفنا نتطلع إلى رسول الله ، ثم نقول : مالنا من سبيل إلى فهم
ذلك الرجل ، فالأولى لنا ثم الأولى ، أن نصمت . . . لو أننا فعلنا هذا
لسكنا آئمين .

لأن الله تعالى أمرنا أن نتبع رسول الله ، واتباعه صلى الله عليه وسلم ، لا
يقاينى إلا بالإسلام بحياته صلى الله عليه وسلم .

فن لم يعرف حياته صلى الله عليه وسلم ، لم نستطع أن يتبعه ، فى صغيرة
أو كبيرة .

فنحن مأمورون من الله بمعرفة رسول الله ، لأن هذا هو الطريق الأوحـد .
لا تباعه في أمور الحياة .

ومن هنا يلزم أن نتكلم عن رسول الله ، ولولم نكن في مقام رسول الله
وفي هذا العصر . عصر الفضاء . . حيث يقف الإنسان مقروراً بعلمه ،
منكراً لله ، ربه الذى خلقه . .

في هذا العصر نشهد الحاجة إلى رسول الله ، لأنه هو النور الذى يكشف
أمامنا حقائق الحياة .

وها هو الإنسان الحديث ، بعلمه ، وذوقه ، وصواريحه ، وسفن فضائه ،
وكل فتوحاته الملية الرائعة ، يقف حائراً بسأل : ولكن أين الحق من وراء
هذا كله ؟ لقد انفتحت لنا آفاق السماء ، وسقطت أمامنا حجب المادة ، وأصبح
الكون أداة طيعة في أيدينا . . . ولكن ماذا وراء هذا ؟

إن هناك شعوراً ماحاً ، يدق بعنف على قلب الإنسان الحديث ، وبصيص
به : ماذا وراء الآفاق ، وماذا وراء الظواهر ، وماذا وراء المسادة ؟
. . . ولا أحد يستطيع أن يجيب على تلك الأسئلة إلا رسول الله . . .
صلى الله عليه وسلم . . .

محمد . . . وحده . . هو الذى يستطيع أن يتقدم ، ويجيب على أسئلة
البشرية في عصر الفضاء .

نعم . . هو صاحب هذا المقام . وحده ، دون الناس جميعاً .
ولو بعث فيهم الآن ، لقال لهم : تعالوا أيها الحيارى ، السكارى ، بخمر
التكنولوجيا . . . ما هذا الذى منه تعجبون ؟ .

وأي سفينة الفضاء ، ورحلاتكم في الفضاء ، محاً ارتفعت عن الأرض ومهما
كان عدد دوراتكم حول القمر . . . بل أين أنتم ولو وصلتكم إلى السكواكب

كلمها ، ونزاتم بها ، وتنقلتم بينها . . . أين أنتم ولو كان هذا حالكم ، من رحلة الإسمراء والمعراج ؟

لقد كانت رحلة الإسمراء والمعراج ، أكبر رحلة فضاء عرفها الإنسان ، ويعرفها إلى يوم القيامة .

لقد خرج محمد - صلى الله عليه وسلم - من فراشه إلى بيت المقدس ليلاً ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، فالثانية ، فالثالثة ، فالرابعة ، فالخامسة ، فالسادسة ، فالسابعة . . . ثم كان قاب قوسين أو أدنى . . . ثم أوحى ربه إليه ما أوحى . . . ورأى من آيات ربه الكبرى ، ثم عاد إلى بيت المقدس ، ثم إلى مكة ، حيث عاد إلى فراشه ، وهو لم يزل دافئاً ١١١ .

في لحظة تم هذا الحمد - صلى الله عليه وسلم - . . . وفي هذا الزمن القليل عبر السماوات ، وما وراء السماوات ، وشهد المشاهد العلى ، حق النقي بربه ، وفرض عليه فروضه ، ثم عاد إلى الأرض كرة أخرى . . . فهل يتصور أن ترتقى رحلات الفضاء إلى هذا المقام ؟

اللهم لا . . . وهذا هو الفارق بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين هؤلاء الجانين ، الذين بهرتهم أعاجيب علمهم ، فطار طائرهم في الهواء ، ودار مادار بها حول الأرض ، ثم وقف مبهوراً وأعلن في العالم : لقد درت في الآفاق ، والتمست هذا الذي يسمى الله ، فلم أجده شيئاً^(١) ١١ .

اسكن رسول الله ، حين عاد من رحلة فضائه ، لم يقل كما قال هذا المجنون .
كلا ولا أنكر وجود الله - وحاشاه - وإنما أصبح أشد سكينه بما كان .
يحدث الناس بما رأى .

(١) نعى بذلك تصريح رائد الفضاء وما أعلنه وثقلته منه وكالات الأنباء ، من أنه لم ير الله في رحلته في الفضاء .

لم يقل محمد كما قال المذكور . . وإنما نزل إلى الناس يؤدي إليهم
ما افترضه الله عليهم . . خمس صلوات في اليوم والليلة . . وجعل يعلم أصحابه
كيف يصلون ؟

نزل محمد من رحلته أشد إيماناً بالله ، وأكبر يقيناً
نزل يعلن إلى الناس جميعاً أن لا إله إلا الله . . أن اعبدوا ربكم الذي
خلقكم والذين من قبلكم . .

من هنا اشتد الحاجة إلى محمد ، إيراد إلى البشرية عقولها ، وبمعيد إليها
صوابها .

وعندما يشتد الظلام ، ياتمس البدر .

إن البشرية لم تكن يوماً من الأيام ، في حاجة إلى رسول الله ، منها في
هذه الأيام .

نحن في عصر يمجج بالفتن موجاً . . لنظام مادي ، نحواً من ألف مليون
إنسان ، تخضع .

الكتلة الغربية ، عالم تمزقه الأوهام ، والمطامع ، لا يعرف الله ، إلا من
خلال منظار الثاوث .

والعالم الإسلامي .. هو الآخر .. غارق إلى آذانه في الخلافات والعصبية
والشهوات .

هذه هو العالم الآن . . . ما بين مغرور بعله ، ومفتون بعقله ، أو متدين
كاهوى . . .

فما أشد حاجة العالم الآن إلى محمد ، رسول الله صلى الله عليه وسلم .

البشرية تريد أن تعرف محمداً ، وهو ينادى : لا إله إلا الله . .

بسمها الشرق ، لعله يرجع . . .

ويسمها القرب .. : لعله يصحح عقائده ...
ويسمها المسلمون ، لعلهم يتحدون ، وينبذون خلافتهم ، ويتجمعون
حول رسولهم .

العالم كله ينادى : أين محمد ؟ .. أين رسول الله ؟ .
فكان التزاماً .. أن تؤدي ذلك الواجب ، وأن تتقدم إلى الناس كافة ،
ونحن نقول : هذا محمد .. هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١ .

بمؤرخة

موضوعات الكتاب

رقم الصفحة

٥

مقدمة الطبعة الثانية

٨

مقدمة

ماذا قبل البعثة ؟

١٧

متى ولد ؟

١٨

من لايقيم ؟

١٩

عودة الطفل إلى أمه

١٩

ولكن الأم تموت

٢٠

عبد المطلب يكفله

٢١

أبو طالب يكفله

٢١

يحبري الراهب

٢٤

الأمين

٢٤

يشهد حرب الفجار

٢٥

يتزوج

٢٦

يحكمون إياه

البعثة

٣١

بدء الوحي

٣٤

أول من آمن

٢٤

فتور الوحي

٢٥

بداية فرض الصلاة

٢٥

أول من آمن من الصبيان ؟

٣٦

أبو طالب يقاجهما يصليان

رقم الصفحة	
٢٦	إسلام زيد بن حارثة
٣٦	إسلام أبي بكر
٣٧	السابقون الأولون
٣٨	الجمهر بالدعوة
٣٨	أول دم في الإسلام
٣٩	بدء الصراع
٤٠	لو وضعوا الشمس في يميني؟
٤٠	أسلم إلينا ابن أخيك؟
٤١	بدء القمع-ذيب ١١
٤٢	ماذا نقول في محمد؟
٤٤	إيذاء رسول الله
٤٤	إسلام حمزة !
٤٥	عرض الدنيا على رسول الله
٤٧	بما ألون عنه اليهود !
٤٩	أول من جهر بالقرآن
٥٠	القمع-ذيب بشدة
٥٠	أحد . . أحد ١١
٥١	صبر آل ياسر
٥١	أبو جهل يتولى الجريمة
٥١	الهجرة الأولى إلى الحبشة
٥٢	النجاشي يرفض تسليمهم !
٥٣	إسلام عمر بن الخطاب
٥٧	مقاطعة بني هاشم وبني المطلب

رقم الصفحة	
٥٨	عودة المهاجرين
٥٨	نقض الصحيفة
٥٨	الإسراء والمعراج
٦١	الصدِّيق
٦٢	تطور الصلاة
٦٢	وفاة خديجة وأبي طالب
٦٣	قصة زواج عائشة
٦٤	قصة زواج سودة
٦٥	زفاف عائشة
٦٥	لماذا تزوج سودة؟
٦٦	لا تبكي يا بنيتي . .
٦٦	حتى الطائف ... تؤذى رسول الله
٦٩	الجن ستة .. من
٦٩	يعرض نفسه على القبائل
٧٠	بيعة العقبة الأولى
٧١	بيعة العقبة الثانية الكبرى

الهجرة

٨٥	كيف كانت الهجرة؟
٧٧	وصوله إلى المدينة
٧٨	بناء مسجد رسول الله
٧٩	بدء التنظيم
٧٩	يوأخي بين المهاجرين والأنصار

رقم الصفحة

- ٨٠ كيف كان الأذان
٨١ بدء عداوة اليهود وظهور النفاق
٨١ إسلام عبد الله بن سلام
٨٣ متى حوات القبلة ؟
٨٤ فرض رمضان وزكاة الفطر

غزوة بدر العظمى

- ٨٧ كيف كانت الغزوة ؟
٨٨ يستشير أصحابه
٨٩ سهر واأبشروا . . .
٩١ ينزل على رأى الحجاب
٩١ بناء العريش
٩٢ بدء المعركة
٩٢ المبارزة
٩٤ أول قتيل من المسلمين
٩٤ النبي يمرض أصحابه على القتال
٩٥ ذبول المعركة
٩٦ نزول سورة الأنفال
٩٨ غزوة بئى سليم
٩٩ غزوة السويق
٩٩ غزوة ذى أمر
١٠٠ غزوة الفرع من بحران
١٠٠ حصار بنى قينقاع

١٠١	سرية زيد بن حارثة
١٠١	معصر كعب بن الأشرف اليهودي
	غزوة أحد
١٠٥	لماذا كانت المعركة ؟
١٠٦	استشير الشعب
١٠٦	وينزل على رأى الشعب !
١٠٦	الخروج للمعركة
١٠٧	اللقاء
١٠٧	معصر حمزة !
١٠٩	المرأة تقا تل دون رسول الله !
١٠٩	أروع أمثلة الفدا ئية
١٠٩	ماذا تصنعون بالحياة بعده ؟
١١٠	هذا رسول الله
١١٠	أين محمد ؟
١١١	هند تمثل بحمزة !
١١١	انتهاء المعركة
١١٢	لن أصحاب بمثلك أبدا
١١٢	ادفنوهم حيث صرعوا
١١٢	فما فعل رسول الله ؟
١١٣	إرهاب العدو

غزوة الخندق

رقم الصفحة

١١٨	مصرع أربعين آخرين ١
١١٩	ومحاولة لاغتيال رسول الله ١
١٢٠	إجلاء يهود بنى النضير
١٢١	غزوة ذات الرقاع
١٢١	ألا أقتل أسكنكم محمدا ١٩
١٢٢	غزوة بدر الآخرة
١٢٢	غزوة دومة الجندل
١٢٢	غزوة الخندق
١٢٤	غدر اليهود
١٢٥	إن الحرب خدعة
١٢٧	غزوة بنى قريظة
١٢٧	بإخوان القردة ١
١٣٠	وفاة سعد بن معاذ
١٣٠	شهداء يوم الخندق
١٣٠	مصرع سلام بن أبي الحقيق
١٣١	إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ١
٤٢٣	زواج أم حبيبة بنت أبي سفيان
٢٣٤	زواج زينب بنت جحش
١٣٤	نزول الحجاب صبيحة عرسها

صالح الحديبية

١٣٧	غزوة بنى الحيان
١٣٧	غزوة ذي قرد
١٣٨	غزوة بنى المصطلق

رقم الصفحة	
١٣٨	ليخرجن الأعز منها الأذل
١٤٠	زواجه جويرية بنت الحرث
١٤١	حديث الافك
١٤٧	أبشرى يا عائشة
١٤٧	غزوة الحديبية
١٥٠	بيعة الرضوان
١٥١	عمر يرفض الصالح
١٥٢	الهدنة
١٥٣	ابن سفيان قريش يأتي مسلما
١٥٤	شهود الصالح
١٥٤	يتحلل من إحرامه
١٥٤	نزول سورة الفتح
١٥٦	الثمار الأولى للصالح
١٥٧	المؤمنات المماجرات
١٥٨	دعوة ملوك الأرض إلى الإسلام
١٥٩	قصة قيعر
١٦٢	ماذا في الكتاب ؟
١٦٣	قصة كسرى
١٦٣	قصة القوقس

غزوة خيبر

١٦٧	الله أكبر ، خربت خيبر
١٦٧	افتتاح الحصون
١٦٨	مرحب اليهودي

رقم الصفحة

١٦٩

مصرع ياسر اليهودى

١٦٩

بطولة على بن أبى طالب

١٧٠

استسلام خيبر

١٧٠

دس المم لرسول الله ا

١٧١

حصار وادى القرى

١٧١

يفامون عن صلاة المصبح ا

١٧٢

النساء يشتركن فى الغزو

١٧٣

قدوم جعفر من الحبشة

١٧٣

العودة من خيبر

عمرة القضاء

١٧٨

زواج ميمونة بنت الحارث

١٧٨

قريش تطلب إياه الرحيل ا

قبل فتح مكة

١٨١

عمر بن العاص يأتى مسلما ا

١٨٢

خالد يروى قصة إسلامه ا

١٨٤

غزوة مؤتة

١٨٥

٢٠٠٠٠٠ من الروم ا

١٨٦

هذه هى بطولة جعفر ا

١٨٦

الشهيد الثالث

١٨٦

خالد يأخذ الراية

١٨٧

إنه سيف من سيوفك

١٨٧

غزوة ذات السلاسل

فتح مكة

١٩١

أسباب فتح مكة

رقم الصفحة

١٩١

أبو سفيان في المدينة

١٩٣

الأسر بالتعبئة

١٩٤

كتاب إلى قريش

١٩٥

الخروج في رمضان

١٩٥

قصة إسلام العباس بن عبد المطلب

١٩٥

قصة إسلام أبي سفيان

١٩٨

عرض الجيش

١٩٩

هند تأخذ بشاربه

١٩٩

التواضع لله

٢٠٠

ترتيب الجيش

٢٠٠

خطبته يوم فتح مكة

٢٠١

هاك مفاعلك يا عثمان

٢٠١

كيف كان البيت ؟

٢٠٢

جاء الخلق وزهق الباطل

٢٠٢

إن الله حرم مكة

٢٠٣

ماذا قلتم ؟

٢٠٣

مرايا تدعو إلى الله

٢٠٤

اللهم إني أبرأ إليك

٢٠٤

خالد يهدم المعزى

٢٠٤

انتهاء المعركة

غزوة حنين

٢٠٧

المزينة

٢٠٧

أنا رسول الله

٢٠٨

ثمانية أهل مكة

رقم الصفحة

٢٠٨

أين أيتها الناس ؟

٢٠٨

الآن حتى الوطيس

٢٠٩

حصار الطائف

٢٠٩

رسول الله أول من رمى بالمنجنيق

٢١٠

أبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟

٢١١

إسلام مالك بن عوف

٢١١

توزيع في هوازن

٢١٢

المؤلفة قلوبهم

٢١٢

اللهم ارحم الأنصار

٢١٤

المودة إلى المدينة

غزوة تبوك

٢١٧

اللهم ارض عن عثمان

٢١٧

لا أجد ما أجلكم عليه

٢١٨

تخلف بعض المسلمين

٢١٨

لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا

٢١٩

رحم الله أبا ذر

٢١٩

أمان لأهل أيلة

٢٢٠

إنك ستجده يصيد البقر

٢٢١

مسجد الضرار

٢٢١

الثلاثة الذين خلفوا

٢٢٢

كعب بن مالك يروي قصته

٢٢٧

تقيف تدخل الإسلام

٢٢٨

تدمير الطاغية اللات

٢٢٨

أنو بكر يجمع بالناس

رقم الصفحة

عام الوفود

٢٣٣	وفد بني تميم
٢٣٤	يا ابن عبد المطالب
٢٣٥	قدوم الجارود
٢٣٦	مسيلة الكذاب
٢٣٦	وفد طيء
٢٣٦	والله ما هذا بملك
٢٣٩	هزبن معد يكرب
٢٣٩	ما بال هذا الحرير ؟
٢٣٩	ملوك حمير تبعث رسلها
٢٤	الروم يصلون فروة
٢٤٠	إسلام بني الحرث بن كعب
٢٤١	الرسول يبعث أمراء الزكاة
٢٤١	كتاب مسيلة الكذاب

حجة الوداع

٢٤٥	مق خرج النبي ؟
٢٤٥	كيف كانت تلك الحجة ؟
٢٥١	الهم اشهد
٢٥٢	العودة إلى المدينة
٢٥٣	بعث أسامة بن زيد إلى فلسطين

إلى الرفيق الأعلى

٢٥٧	لقد اخترت لقاء ربي
-----	--------------------

رقم الصفحة

٢٥٧	وارأساه
٢٥٨	المرض يشقد
٢٥٨	ينمى نفسه
٢٥٩	أنفذوا بعث أسامة
٢٦٠	استوصوا بالأنصار خيرا
٢٦٠	من صنم هذا بي ؟
٢٦١	يدعوا بالإشارة
٢٦١	إذا والله لا يختارنا
٢٦٢	مروا أبا بكر فليصل بالناس
٢٦٢	فأين أبو بكر ؟
٢٦٣	الظفرة الأخيرة
٢٦٤	يصل وراء أبي بكر
٢٦٤	إلى الرفيق الأعلى
٢٦٥	والله مامات
٢٦٦	أبو بكر يُقبَل رسول الله
٢٦٦	وما محمد إلا رسول
٢٦٧	هر يروى قصة اختيار أبي بكر
٢٦٨	عمر يعتذر
٢٦٩	ألمت بخيركم
٢٦٩	إعداد الجسد الشريف
٢٧٠	الصلاة على رسول الله
٢٧٠	في ليلة الأربعاء
٢٧٣	خاتمة
٢٨٥	موضوعات الكتاب